المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثامن والاربعين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٣٦ — الموافق ٢٥ صفر سنة ١٣٣٤

حقيقة الحال في المانيا

يودُّ المرء ان يعرف حقيقة الحال في المانيا في هذا الوقت . اي هل الطعام يسور لسكانها بعد ان سُدَّت في وجههم طرق البحر لانهُ ان كان قد قلَّ حتى امسى غير كاف لمعيشتهم فلا بدَّ من ان يثوروا على حكومتهم لان الجوع كافر لا يصبر الناس عليهِ طويلاً وتكون نهاية هذه الحرب قد دنت

ولقد كثرت الاقاويل وتوفَّرت القرائن على ان الطعام قلَّ في المانيا حتى جعل الالمان المقيمون في اميركا يرسلون الى اقاربهم طروداً منهُ بالبريد وان علماء الالمان استنبطوا وسيلة لتحويل المواد غير الآكلة التي لا تؤكل الى مواد آكلة مغذية فيمزجون كبريتات النشادر بسكر البنجر ويعالجون المزيج على طريقة كيماوية تجعلهُ طعاماً مغذياً اي يجعلون النيتروجين الذي في كبريتات النشادر يتحد بالسكر فتصير منهُ مادة آكلة كاللحم تغتذي بها الخنازير وتصير لحماً في ابدانها . والحاجة تفتق الحيلة

وقد وقفنا الآن على رسالة رجل انكليزي كان معتقلاً في المانيا وأُطلق سبيلهُ حديثاً فوعى في ذاكرتهُ ما رآهُ وما سمعهُ وهو معتقل مما يستدلُّ منهُ على حال الالمان الآن من هذا القبيل . ويظهر لنا انهُ صادق وان استدلالهُ في محلهِ وعليهِ فيبعد جدًّا ان تطول هذه الحرب سنة اخرى الاَّ اذا حدثت حوادث ليست في الحسبان اعدمت الطعام على المانيا وزادت عدد جيوشها او اوقعت الشقاق بين الحلفاء او اثارت عليهم شعوبهم . وهاك خلاصة هذه الرسالة

انا نحن المعتقلين في رُهلبن قلما كنا نرى شيئاً نستدلُّ منهُ على احوال الحرب ولكننا كنا نرى امورًا كثيرة تدلُّ على احوال السكان وما آلت اليهِ بسبب الحرب . ولا شبهة

ان بعض ذلك كان يتسرَّب الى البلاد الانكليزية مما ينشر في الجرائد الالمانية وتنقلهُ عنها جرائد المحايدين اما نحن فكنا نقرأ الجرائد الالمانية بالاضطراد وكنا اقدر من المقيمين في انكلترا على الفصل بين الغث والسمين منها فلم يكن في طاقة الجرائد الالمانية مثلاً ان تخدعنا بقولها ان مواسم سنة ١٩١٥ اقبلت اقبالاً عظيماً لاننا رأينا القيظ امتدَّ من اواخر شهر مارس الى اوائل شهر يوليو ثم هطلت امطار غزيرة مصحوبة بالصواعق . رأينا ذلك بعيوننا وسمعنا الحراس يشكون من انقطاع الامطار وضرر انقطاعها بالمزروعات . وكان بيننا اناس كثيرون على خبرة تامة بالزراعة فلم يخدعوا باقوال الجرائد . وعلمنا ان قش الحنطة قلَّ لانهم لم يعطونا قشًّا لفرشنا فخشوناها بنشارة الخشب . وسُئل رجل اميركي خبير عن مقدار النقص في المواسم فقال انهُ يختلف بين ولاية واخرى وان الولاية التي كان فيها لم يحصد الزارعون شيئًا من مزروعاتها

والذي يقرأ الجرائد الالمانية كلها من اولها الى آخرها كما كنا نفعل يستدلُّ منها اكثر مما يستدلُّ من يقرأ بعض الاقتباسات منها لا سيما واننا كنا متصلين بالسكان . وقد افرج عن البعض منا ثم اعتُقلوا فاخبروا الذين كانوا لا يزالون معتقلين بما رأوهُ وسمعوهُ . وكان يصل الينا من وقت الى آخر اناس من الانكليز اعتُقلوا حديثًا وهم عارفون بما وقع تحت نظرهم في البلاد فيخبروننا بما يعلمونهُ . وكان بيننا رجال لهم زوجات المانيات كنَّ يكاتبنهم ويذكرن اموراً طفيفة لا يرى الرقيب بأسًا بالاغضاء عنها اولا يرى لها معنًى سياسيًّا وهي عندنا ذات معنى كبير . مثال ذلك ان يأتي كتاب الى رجل من زوجتهِ تقول لهُ فيهِ أُخذ جارنا شرودر للجندية . والرجل يعلم ان شرودر هذا بدين سمين ثقيل الحركة يقضي ايامهُ في القهوات فيستدل من ذلك ان المانيا جنَّدت كل الذين يليقون للحرب وهي تجند الآن الذين لا يليقون لها ولا سيما اذا قالت زوجتهُ انهُ لم يخطر على بال شرودر انهُ يمكن ان يجنَّد

وعبارة واحدة مثل هذه في كتاب واحد لا يبنى عليها حكم لانها قد ترد على سبيل التهكُّم ولكن اذا تكرَّرت امثالها في مكاتيب عديدة لاناس كثيرين لم تفسَّر الاَّ بان الحكومة الالمانية استنزفت كل اللائقين للخدمة الحربيَّة واخذت تدعو غيرهم . فقد سمعت انها جندت رجلاً لا يستطيع ان يمشي ميلين وان رجلاً آخر فقئت عينهُ في الحرب فأُعيد الى فرقتهِ لتفقأ عينهُ الاخرى وجندت رجلاً حاسر البصر لا يرى على بعد خمسة امتار ولما اعتذر بقصر بصره قيل لهُ يمكنك اذاً ان تقف امام صفك لترى العدو

حينما نشبت الحرب منع الالمان من جعل خبزهم كلهِ من دقيق الحنطة وامرت

الحكومة بزجه بعشره الى خمسة من دقيق البطاطس فجعل الذين ضامهم مع المانيا يفتخرون بان قمحها يكفيها الى منتهى الحرب . وكان الخبز كثيراً في اول الامر وبقي كثيراً الى شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ حينما كان الالمان يتوقعون ان يقهروا الحلفاء ويبلدوا كالله . ثم تغيرت الحال في اواخر دسمبر وارتفع ثمن الخبز وصغرت ارغفتهُ وانحطَّ نوعهُ وصار صلباً قاسياً وزاد اسوداداً شهراً بعد شهر . ثم مُنع بيع خبز الحنطة لنا وصرنا نأكل الخبز الاسمر المصنوع من حبوب اخرى غير القمح . وفي اول الامر تعذر علينا هضم هذا الخبز ثم قيل لنا ان الحكومة ستقلل جرايتنا منهُ لانها لم تكن تأكلها كلها . الاَّ ان الجندي الذي اخبرنا بامر الحكومة قال ايضاً ان الحبوب امست قليلة في البلاد فلا بدَّ من الاقتصاد . وبعد قليل صار الخبز يوزع على البيوت في البلاد كلها بمقدار محدود حسب عدد الانفس . سمعت انكلترا بذلك سمعاً اما نحن فعرفناهُ بالخبر لا بالخبَر فان كل رجل منا كان يُعطى خُمس رغيف في اليوم اي بمقدار ما يعطاهُ النفس في كل البلاد الالمانية فان الرغيف الواحد كان يقسم على خمسة انفس وقشرتهُ صلبة لا تعمل بها الاَّ الاسنان القوية لصرنا نتصوَّر جوعاً

والجوع من جراء ذلك اصاب الفقراء دون الاغنياء لان الغني يستطيع ان يأكل مآكل كثيرة غير الخبز اما الفقراء فالخبز لهوام معيشتهم . وكان بعض الفقراء يأتون سجننا من وقت الى آخر مرسلين في بعض الشؤون فكان همهم الاكبر الوصول الى المطبخ والتهام ما فيهِ من فضلات الطعام . وذكرت الجرائد حينئذٍ ان في البلاد نباتات كثيرة يمكن اكلها والاغتذاء بها بدل الخبز . وقد رأيت مرةً امرأة ملأت خرجها من البقول البرية ونادت وهي تقول اخذوا اولادنا ورجالنا ليُقتلوا وتركونا نخرج الى الحقول ونأكل الحشيش

ورأيت بعض الجنود من حراسنا يفتشون في الكناسة عن فتات الخبز الغني الذي كنا نطرحهُ ويجمعونهُ ويأخذونهُ الى عيالهم . وقال لنا واحد منهم ذات يوم « ان الخبز يفضل عنكم لكثرة ما يأتيكم من البسكت من بلادكم فارجو ان لا تطرحوا ما يفيض عنكم منهُ بل تعطوني اياهُ لاوسلهُ الى بعض اصدقائي في سبندو فان النساء الفقيرات هناك يكدن يمتن جوعاً » هذا مع ان سبندو دار صنعة الحكومة وهي اصلح حالاً من غيرها

وكل ما قيل من ان المانيا لم تعبأ بالحصر البحري ولا اثَّر فيها هذا الحصر هذر وهذيان . فان الحصر البحري اثَّر فيها اشد تأثير فانهُ لم يبقَ فيها شيء من الاطعمة معتدل السعر الاَّ البطاطس والخضر . وقد كثرت الخضر في ايامنا لانهُ لم توجد علب من الصفيح لكبسها وحفظها الى غير وقتها اما الآن فلا بدَّ من ان تكون قد قلَّت كثيراً . وكثر

البطاطس في الفصل الذي يجني فيهِ اما قبل ذلك فكان ما يباع منهُ للاكل كالبطاطس الذي يطعم للخنازير

ثم ان اهتمام الحكومة الشديد بامر البطاطس كان من اكبر الادلة على شدَّة الضيقة فانها وضعت يدها على كل غلتهِ لكي تتحكم في بيعهِ للبلديات وهي تبيعهُ للسكان . واتفق ان بلدية برلين خزنت اصنافها في اقبية تحت سكة الحديد فدبَّ فيهِ الفساد حتى اضطرَّت اخيراً ان تنقلهُ الى الحقول سماداً للزروعات . وحدثَ مثل ذلك في اماكن اخرى خزن البطاطس فيها . واذا فقد الالمان البطاطس فماذا يقتاتون

وكانت الحكومة الالمانية قد امرت ببيعنا بعض الاطعمة باثمان رخيصة بالنسبة الى ثمنها في البلاد لكي لا نعلم ما حدث من الغلاء فكنا نشتري رطل الزبدة الطبيعية بتسعة غروش وثمنهُ في برلين ١٢ غرشاً ورطل الزبدة الصناعية بستة غروش وثمنهُ لغيرنا ثمانية غروش

وبذل الالمان همهم في ابدال صنف بآخر فابدلوا البترول بالفنول وقالوا ان في نشارة الخشب مادة مغذية يجب استخراجها منها كيماوياً واستعمالها طعاماً . وبلغ ثمن الرطل (الليبرة) من لحم الخنزير ٥ اغرشاً وهو هزيل انحف لان الالمان كانوا يسمنون خنازيرهم باطعامها كسب جوز الهند وهذا بطل ورودهُ الى بلادهم الآن فلم يبقَ للخنازير طعام آخر تقوت بهِ . ثم ابطلوا تقديم لحم الخنزير للمستقلين وابدلوهُ ببعض انواع السمك . وجعلت الجرائد الالمانية تثني بمدح السمك طعاماً . وكان السمك يأتي الى المانيا من نروج بطريق اسوج ونحن نعلم كيف كان يأتي وبأية حالة لكن الالمان يكابرون ويكابرون الى ان لا يبقى عندهم شيء يأكلونهُ وقد يستحيل عليهم ان يمضوا شتاء آخر

وكما نفدت مواد الطعام نفدت مواد الصناعة كالنحاس والنكل فاضطروا ان يصهروا ما عندهم من الادوات النحاسية ليصنعوا منها كبول قنابلهم وان يصهروا نقود النكل ليصبوا اغلفة خرطوشهم ومنعوا كل احد من ركوب اوتوموبيلهِ الاَّ اذا كان طبيباً لقلة الكاوتشوك واحضروا كل ما يستغني عنهُ السكان من احرمة الصوف . واقفلت كل معامل النسيج والغزل الاَّ التي تعمل لاجل الجيش لقلة القطن والصوف . وغلا ثمن الجلد حتى صار ثمن الرطل (الليبرة) منهُ ٤٥ غرشاً

ولما أُطلق سبيلي رأيت في طريقي النساء في برلين يكنسنَ الشوارع ويسقنَ المركبات اقلة الرجال . ولما كنت معتقلاً كنت ارى النساء يمددن خطوط سكك الحديد حتى رسخ في ذهني وذهن رفاقي انهُ لم يبقَ من المانيا الاَّ النشور

وقد ثبت لنا ان ما اظهرهُ الالمان في اول الامر من العداء للانكليز كان ثورة غيظ اثارها في نفوسهم اقوال جرائدهم وتعاليم مثل رقتنو وترتشكي . في اول الامر كان اخبار الذين يحرسون اسرى الحرب يقولون ان اولئك الاسرى مجرمون ويجب ان لا يطعموا الاَّ مرةً في النهار ويجب ان يكون طعامهم الخبز القفار لاغير . والجنود الذين كانوا يحرسوننا كانوا يعاملوننا بالفظاظة في اول الامر ثم تغيرت الحال رويداً رويداً لان غيظهم الاول كان اشد من ان يدوم « كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكلهُ » ولاسيما بعد ان عاشروا الانكليز . قال لي احد الجنود انهُ أُقنع قبلاً بان الانكليز متوحشون كلهم فوجد بعد الاختبار ان اكثرهم على جانب من الادب والظرف

ولو اجاز الرقيب لمحرر جريدة برلنر تاجبلات ان يكتب ما يشاء لاطنب في مدح الانكليز فقد انشأ مقالات كثيرة قال فيها ان اعداء الالمان الحقيقيين هم الروس لا الانكليز لان الانكليز لا يريدون محق المانيا بل ان تبقى دولة قوية عزيزة الجانب لتصد تيار السلاف لكن الرقيب اوقفهُ قبلما اوغل في هذا الموضوع . غير انهُ بقي يلمح اليهِ بالاستعارات ويبيّن ان ما قيل عن سوء معاملة الاسرى الالمان في البلاد الانكليزية غير صحيح . واعترض على الاغنية المسماة « اغنية البغض » وقال انهُ لا يليق وضعها في كتب تعليم القراءة ولام ناظمها لوماً شديداً . والَّف بعضهم تاريخاً ذم فيهِ انكلترا فاضى باللوم عليهِ وقال اننا ننتظر من اساتذتنا ان يمهدوا السبيل للصلح لا ان يزيدوا الاحقاد والضغائن

ولا يظهر لي ان المانيا كلها صارت من مذهب هذا المحرر بل لا يزال العتو والعنفوان شعار الجمهور في احاديثهم العمومية ولا يزالون يتوعدون و يتهددون قاصدين ان يبثوا الحماسة في نفوس سامعيهم و يقولون انهم لا يعتمدون سيوفهم حتى تلحس انكلترا التراب امامهم . ولكن غطرستهم الفارغة قلما تخفى على الناقد البصير . وكل ثورة من هذه الثورات ثورات العتو والتبجح صارت اقصر من التي قبلها . وكثيراً ما قال عقلاؤهم ان المعارك في روسيا لا تنتج لهم شيئاً ولو كان الفوز فيها لهم لان الفوز الحقيقي في الميدان الغربي وهذا الفوز لا يزال ابعد من البُعد

قال احد الاسرى لضابط صغير انهُ راهن على ان المانيا تخرج من هذه الحرب ظافرةً في ستة اشهر . فقال لهُ الضابط انك مجنون وحسبُ المانيا ان تخرج من الحرب في سنتين . وقال آخر على مسمع مني ان هذه الحرب ستزيد عدد الاشتراكيين في المانيا وان العمّال فيها مجانين

ولا شبه عندي ان الآمال التي كانت تحيك في صدر الالماني في بداءة الحرب قد زالت الآن . ومن المحتمل انهُ لا يقدِّر الفشل التام لبلاده ولكنهُ عدل عن تقدير الفوز لها وصار يحسب ان الخاتمة ستكون صلحاً شريفاً لا تغبن به بلادهُ واعجلهُ افضلهُ . وان تأخير عقد الصلح سببهُ الدعاوي الفارغة التي يدَّعيها محبو السيادة ومنعهم الجرائد من الخوض في طلب الصلح وتعيين شروطه

ولا يصدِّق الالمان ما يقال عن النكبات التي ارتكبها جنودهم لا سيما وانهم قلما سمعوا عنها لان جرائدهم ممنوعة من الاشارة اليها واذا بلغهم شيء من اخبارها قالوا انها اقاصيص مختلقة او مبالغ فيها وان كل ما حدث انما هو من الاعمال الحربية الجائزة اي التي تكافأ العدو صاعاً بصاع مقابل ما يأتيهِ من النكرات ولذلك اذا ارادت الحكومة الالمانية ان تلجأ الى وسيلة من الوسائل المنهي عنها في الحرب ادَّعت اولاً ان اعداءها استعملوا هذه الوسيلة وجعلت الجرائد تنشر ذلك في طول البلاد وعرضها حتى اذا توسَّلت هي بها لم يلمها شعبها بل قالت انها تكيل لاعدائها الصاع بالصاع . وقد اعتذرت عن اعمالها الاخرى بالخداع فقالت ان سكاربرو التي ضربتها بوارجها وقتلت النساء والاطفال فيها هي قاعدة حربية وان مدينة لنجين التي رمتها بلوزات تزبلين بالقنابل حصن حربي ويجب ان لا يقيم فيها السكان وان الباخرة لوزيتانيا طرَّاد مسلَّح . هذا ما ادَّعتهُ الحكومة الالمانية تضليلاً لعامة الشعب ولذلك لا تبالي العامة الا بما يمسها فعلاً كالضيق المالي والجوع وفقد الاهل والاقارب او رجوعهم مثخنين بالجراح او مصابين باعاقات لا شفاء لهم منها فقد بلغني ان في برلين وحدها عشرة آلاف من الجنود الذين فقدوا بصرهم في الحرب ويُرثى ان تدبير عمل لهم يتعيشون بهِ في المستقبل من اكبر المشكلات

واهل النظر من الالمان يفكرون في حال البلاد المالية فالقين لانهم يعلمون ان ما قيل عن نجاح قرض الحرب خداع في خداع فان الذين اكتتبوا بهِ هم من المورِّدين للحكومة الذين يقبضون منها ورقاً ثمن ما يوردونهُ لها فردوا لها اوراقها ومن الذين اودعوا في البنوك اسهماً وسندات لا قيمة لها والسكان يفكرون في مقدار الضرائب التي ستضرب عليهم بعد الحرب وترتعد فرائصهم لانهُ لم يبقَ لهم رجاء باخذ غرامة حربية

الزكام وعلاجهُ

جاء الشتاء واشتدَّ البرد وكثر تعرُّض الناس للزكام وآفات الحلق . وقلما يصاب احد بشيء من ذلك الاَّ ويسأل نفسهُ قائلاً هل بردتُ او ابتلَّت رجلاي او تعرَّضتُ لمجاري الهواء البارد او جلست مع احد مزكوم . ولا شبهة ان هذه الاسباب تساعد على احداث الزكام وآفات الحلق في كثير من الاحوال ولكن قد يتعرَّض الانسان لاشدّ درجات البرد وتبتل ثيابهُ كلها ويبتل بدنهُ ايضاً بل يغوص في لجة البحر ولا يصاب بشيء من ذلك

والزكام وآفات الحلق واكثر الادواء الداخلة والباطنة تحدث من انواع خاصة من الميكروبات . وقد وُجد بالامتحان ان الذين فحصت حلوقهم وجد ميكروب التهاب الرئة في ربعها وميكروب الدفتيريا في عشرها وميكروب النزلة الوافدة (الانفلونزا) في ثلثها وميكروب الصديد في نصفها

وهذه الميكروبات تزيد عندنا في الشتاء والربيع وتقلُّ في الصيف وتدخل بيوتنا من غير استئذان وقلما يتيسر لنا منعها من الوصول الينا . ولادعي لهذا المنع لان الجندي الذي لا يتمرَّن على الحرب ابداً ولا يتعرَّض للمخاطر لا يقوى على اعدائهِ ولا ينجو من الخطر اذا احدق بهِ

الوقاية مفيدة اذا كانت ممكنة ولكن المقاومة افيد منها . يحسن بالناس ان يكونوا مدنًا تحيط بها الاسوار والخنادق وبلاداً تكتنفها القلاع والحصون ولكنهم اذا ضعفوا ما عندهم من الجنود حينئذٍ وابطلوا التمرُّن على استعمال الاسلحة جاءتهم الميكروبات يوماً بمدافع كمدافع الالمان واخذتهم على غرَّة فدكَّت حصونهم وهدمت اسوارهم

والناس درجات كثيرة من حيث تعودهم مقاومة عوادي الادواء فالذي جُدِر مرَّةً او طُعِّم بطعم الجدري مراراً لا يخشى القيام مع المجدورين ولكن الذي لم يجدَّر ولم يطعَّم قلما يسلم من العدوى اذا دنا من مجدور . وعلى مقدار تعرُّض الناس للادواء يقلُّ فعل الادواء بهم ولكن بشرط ان يكون هذا التعرُّض متدرِّجاً حتى يكون ما يدخل الجسم من ميكروب الداء اقل مما يكفي للتغلب على جنود الجسم الطبيعية اي خلايا الدم البيضاء وبعض العصارات الواقية . والمعركة الاولى التي يكون الفوز فيها للجسم تزيدهُ قوة على الظفر في المعركة الثانية

جنود الجسم المتنبه (اي كريات دمهِ) اقدر على مقاومة عوادي الادواء من جنود الجسم الغافل ولذلك يؤثر البرد في النائم اكثر مما يؤثر في المستيقظ

خرجنا يوماً من ايام الشتاء قاصدين سقارة وكانت السماء صحواً في الصباح والشمس

مشرقة فلم نُعنَ بلبس ثياب مدثثة ولم نكد نصل الى سقسارة حتى غابت الشمس ووقع المطر وثارت ريح هوجاء شديدة البرد فابتلت ثيابنا وقرسنا البرد ولكننا حاولنا دفع البرد بالحركة وعدنا ولم نصب بمكروه لشدَّة انتباه اعصابنا

كان النساء منذ سنتين يلبسنَ اطواقاً تغطي اعناقهنَّ ويلففنَ حولها الفراء خوفاً من البرد . ولا شبهة في ان البرد كان يضرُّهنَّ حينئذٍ ثم ابطلنَ لبس الاطواق العالية وصرنَ يكشفنَ العنق والنحر وجانباً كبيراً من الصدر فلم يصبن بمكروه بل صرنا اقدر على احتمال البرد

ينام الناس في فصل الصيف في هذا القطر من غير غطاء في الغالب وقد يستمرون على ذلك الى اواخر الخريف ولا يبردون ولا يصابون بآفة سببها البرد ولو نزعوا غطاءهم في الربيع دفعةً واحدة لبردوا واصيبوا بزكام شديد او بذات الرئة ولو كانت درجة حرارة الهواء حينئذٍ اعلى من درجة حرارته في اواخر الخريف وما ذلك الاَّ لان الجسم يكون قد تدرَّج الى احتمال برد الليل من الصيف الى الخريف فبطل تأثير البرد فيهِ اي ان جنودهُ الداخلية تبقى مستيقظة عاملة تهجم على ما يدخلهُ من ميكروبات الامراض المشار اليها آنفاً وتقتلها او تأكلها . واما في الحالة الثانية فتكون جنود الجسم قد القت الدفَّ فاذا جاء البرد بغتةً اضطرت ان تبذل كل قوتها في مقاومة فعلهِ فتعجز عن القيام بعمل آخر مع عملها اي تعجز عن محاربة ميكروبات الامراض وقتلها . ولكن اذا خفف المرء دثارهُ رويداً رويداً او اذا انتظر الى ان يشتد الحر في ايام الخماسين وخفف دثارهُ حينئذٍ دفعةً واحدة لم يتلهُ اقل ضرر لان الهواء لا يبرد حينئذٍ برداً يدعو جنود الجسم الى الاهتمام بهِ فتبقى على حراستها مستعدة لمحاربة الميكروبات

وهناك امر آخر لا يصحُّ الاغضاء عنهُ وهو ان الزكام يبقي في الجسم نوعاً من الوقاية كما ان الجدري يقي من يصاب بهِ من ان يجدر ثانيةً لكن الوقاية من الزكام لا تدوم اكثر من ثلاثة اشهر او اربعة على الرجح وقد لا تدوم ابداً ولذلك يصاب البعض بالزكام مرةً او مرتين فقط في السنة ويصاب غيرهم مراراً كثيرة . والظاهر ان هذا يتوقف على استعداد طبيعي في الجسم للانفعال بميكروبات الزكام وعلى تقوية حصونهِ الصحية لمقاومة هذه الميكروبات . اما الاستعداد الطبيعي فموروث ولكنهُ ليس صفة ثابتة كقصر القامة وبياض الوجه بل هو من الصفات المفارقة التي تتغير بتغير الاحوال فاذا قاومهُ المرء بتقوية جسمهِ والاقامة في اماكن معتدلة الهواء ضعف استعدادهُ الطبيعي لهُ

واذا حدث الزكام فاما من اهمال الوقاية وقلة الاحتراس واما من كثرة ميكروباتهِ وتغلبها على حراس الجسم فخير دواء لهُ الفراش والدفء التام وتقليل الطعام

كفاف الانسان من الارض

من اوضاع الكونت تلستوي الفيلسوف الروسي الشهير

اخوان اقترنت كبراهما بتاجر في احدى المدن والصغرى بفلاح مقيم في اطيانهِ . وذات يوم زارت الكبرى اختها الصغرى وجعلت تقابل بين عيشة المدن وعيشة الارياف وتفضل الاولى على الثانية ومما قالتهُ ان بيتها فاخر الرياش وثيابها وثياب اولادها نظيفة دائماً وعلى آخر زي وهم يجدون في المدينة كل ما يشتهون من انواع الطعام . واسبابُ التسلية وافرة لهم بين الملاعب والحدائق . فاغتاظت الصغرى من هذا التعريض وقالت لاختها اخطأتِ وانا لا ابدل بيتي ببيتكِ ولا عيشتي بعيشتكِ . نعم ليس عندنا اماكن للهو كالملاعب والمشاهد ولكننا آمنون صروف الدهر لا مثل التجار الذين ينتعون اليوم و يفتقرون غداً . ولا ننتظر ان نغتني ولكننا واثقون اننا نجد في اطياننا دائماً ما نأكل وما يشرب

فقالت الكبرى نعم تجدون طعامكم وشرابكم كالماشي ومعها جدٌ زوجك واجتهد فانتِ لا تجدين الى الراحة سبيلاً بل تعيشين في الفاقة والتعب طول عمركِ ولا يكون اولادك احسن منكِ

وكان زوج الصغرى واسمهُ باخوم جالساً يسمع ما دار بين الاختين من الحديث فقال في نفسهِ لقد اصابت زوجتي ولو كانت اطياني واسعة كما اشتهي لقورت عيني ابليس ولم احسد احداً على عيشتهِ

وكان ابليس مختفياً وراء الموقد فسرَّ بكلام باخوم وقال في نفسهِ اني ساعطيهِ كل ما يريد من الاطيان ونرى مَن يتور عيني الآخر

ومرَّت الايام و باخوم يقتصد في نفقاتهِ فاشترى بعض المدن المجاورة لاطيانهِ فزاد تعبهُ ولكنهُ لم يتذمَّر . وزارهُ ذات يوم احد الفلاحين واخبرهُ عن اراضٍ واسعة قرب نهر الفلغا وفي من اخصب اراضي الدنيا وانها بخس جداً . فقال باخوم دلّه بغيتي وقال بِعْ اطيانكَ وذهب وشاهد الاطيان المشار اليها فاشترى منها بما معهُ من النقود ولكنهُ وجد ان الارض الصالحة منها لزرع القمح قليلة ومع ذلك واظب على زرعها خمس سنوات وهو يقتصد في نفقاتهِ الى ان اجتمع لهُ الف و بال فعزم ان يشتري اطيان جارهِ وكان جارهُ قد افلس . وبينما هو يفكر في ذلك مرَّ بهِ تاجر واخبرهُ عن بلاد البشكير[1] حيث كان قد اشترى

(١) جيل من الناس يسكنون البلاد الواقعة في سفح جبال اورال بروسيا

خمسة آلاف فدان بالف ريال فقط . فسأل التاجر عن كيفية الوصول الى ذلك . فقال التاجر ليس عليك الاَّ ان تصادق شيخ القبيلة وتهاديهم بقليل من الجبب والبسط والخمر والشاي وانا لم ادفع ثمن الفدان اكثر من عرشين . ثم اخرج عقد البيع واراهُ لباخوم وقال لهُ ان الارض بور كلها ولكنها مرج واسع ينطبع النبات ويخترقهُ نهر كبير . والبشكير اصحاب الارض من اجهل الناس ويمكنك ان تأخذها منهم بلا ثمن

فابرقت اسرَّة باخوم وقال لقد وجدت ضالَّتي وعزم من ساعتهِ ان يقوم و يذهب الى بلاد البشكير و يبتاع منهم كل ما يستطيع ابتياعهُ من الاراضي . ثم سأل التاجر عن الطريق الموصلة الى تلك البلاد واخذ يتأهب للسفر اليها وودَّع زوجتهُ واخذ معهُ واحداً من خدمهِ وسار الى اقرب مدينة واشترى منها جبباً و بسطاً وشاياً وخمراً وسار الاثنان في مركبة اسبوعاً كاملاً قطعا فيهِ نحو ثلثمائة ميل الى ان وصلا الى بلاد البشكير فرأى كل شيء كما وصفهُ لهُ التاجر فان البشكير يسكنون في خيام من الشعر على ضفتي نهر وهم قبائل رُحَّل لا يحرثون ولا يزرعون بل عملهم انتجاع المراعي وتربية الخيل والغنم والبقر يأكلون لحومها ويشربون البانها و يرتدون بجلودها وهم اهل ضيافة وكرم . فلما اقبل عليهم اجتمعوا حولهُ وكانوا يجهلون اللسان الروسي ولكن اتفق وجود ترجمان هناك فجعل يترجم بينهُ وبينهم فاخبرهم بلسان الترجمان انهُ جاء ليشتري منهم بعض اراضيهم . فرحَّبوا بهِ واخذوهُ الى اكبر خيامهم وقدموا لهُ لبناً فشرب ثم ذبحوا لهُ خروفاً ليولموا لهُ

فسُرَّ بذلك وامر خادمهُ ان يأتي بما معهُ من الجبب والبسط والشاي والخمر واهداها الى رؤسائهم . فجلسوا يتشاورون فيما بينهم ثم قالوا للترجمان قل لهُ اننا نحل الضيف على الرحب والسعة ونعرف قيمة الكرم فلا نبخسهُ اكرم منا فاسألهُ عمَّا يريد فلا نبخل عليهِ بهِ

فقال للترجمان قل لهم اني مررت ببلادكم واريد جواركم واحب ان تعطوني جانباً من اراضيكم لان الارض عندنا ضيقة وخدمها قليل وانتم اراضيكم واسعة خصبة

فترجم لهم الترجمان . فقال فجعلوا يتكلمون ويتهامسون ويأخذون لا يفهم شيئاً من كلامهم ولكنهُ استنتج من ضحكهم انهم سروا بكلامهِ . واخيراً قال لهُ الترجمان انهم يسمحون لك ان تمتلك من اراضيهم قدر ما تريد جزاء لكرمك

فقال لهُ اشكرهم عن لساني وقل لهم اني اريد ان اشتري منهم مساحة محدودة بثمن محدود واكتب ذلك في حجة حتى لا ينازعني احد في ملكي

ثم التفت الى شيخ القبيلة وقال لهُ اني شاكر لكم ما اظهرتم من حسن الضيافة والكرم

ولكنني لا اريد ان آخذ من ارضكم شبراً الاَّ بالشراء فهلمَّ نتفق على المقدار الذي تبيعونني اياهُ وعلى ثمنهِ حتى يكون البيع صحيحاً نافذاً عليكم وعلى اولادكم من بعدكم

فبشَّ لهُ الشيخ وقال ليكن لك ما تريد

فقال باخوم بلغني ان تاجراً مرَّ بكم من عهد قريب واشترى منكم جانباً من اراضيكم وكتبتم لهُ حجة في ذلك واود ان تعاملوني كما عاملتموهُ

فقال لهُ الشيخ عمَّت مرادك وعندنا هنا كاتب ماهر نبيعك الارض التي تختارها ونكتب لك حجة بها وتوقعها كلها بختومنا

فقال باخوم واريد ان اعرف الثمن الذي تطلبونهُ

فقالوا اننا نطلب ثمناً واحداً وهو الف ريال كل يوم

فلم يفهم مرادهم وقال لهم ماذا تعنون باليوم وكم فدان يساوي

فقالوا لا نعلم ولكننا نبيعك كل الارض التي تستطيع ان تسير حولها في يوم واحد بالف ريال

فقال اني اقدر ان اطوف حول ارض واسعة جدًّا في اليوم

فقالوا لا مانع عندنا والارض التي تطوف حولها كل يوم نعطيك اياها بالف ريال مهما كان اتساعها ولا بدَّ من ان تقوم من نقطة معينة في الصباح وتعود اليها قبل غروب الشمس والاَّ خسرت الثمن

فقال ومن يعين الحدود التي امرُّ فيها

فقالوا يجب ان تعينها انت ويركب معك بعض رجالنا ويدقون اوتاداً فيها حيث تقول لهم . ثم نصل بين هذه الاوتاد بتلم فيكون الحد الفاصل للارض التي تختارها . ولك ان تختار الارض التي تريدها والمقدار الذي تريدهُ على شرط ان تطوف حولهُ في يوم واحد وتنتهي حيث ابتدأت قبل غياب الشمس

فسرَّ بذلك وتمَّ الاتفاق على ان ينهض في صباح اليوم التالي ويعمل حسبما قالوا . وتسمَّر تلك الليلة من الخروف الذي ذبحوهُ لهُ ونام على فراش من ريش فرشوهُ لهُ ولكن لم يغمض لهُ جفن من شدة فرحهِ لانهُ حسب انهُ سيقتطع من اراضيهم قطعة تساوي مملكة فان الوقت كان صيفاً والنهار طويلاً وحسب انهُ يقدر ان يمشي ثلاثين ميلاً على اقل تقدير فيقتطع قطعة ارض مساحتها نحو اربعة آلاف فدان فيحرث بعضها ويترك الباقي مراعي .

وقبل الفجر ران اكبرى على جفنيهِ فنام وحلم انهُ سمع اناساً يمزحون ويضحكون امام باب الخيمة فنهض وخرج ليرى من هم واذا هو بشيخ القبيلة جالس امام الخيمة يضحك و يداهُ على خاصرتيهِ فقال لهُ ما يضحكك ايها الرجل فانقلب بغتةً وصار مثل التاجر الذي مرَّ بهِ واخبرهُ عن هذه الارض ولم يكد يتم وهُ جيداً حتى انقلب وصار مثل الفلاح الذي ضافهُ ذات يوم واخبرهُ عن اراضي القوقاز وقبل ان يكملهُ غاب عن بصرهِ وقام مقامهُ ابليس المعين وقرنان في رأسهِ . فنظر اليهِ باخوم فرآهُ اخذ يتبسَّم ثم جعل يضحك فدنا منهُ واذا امامهُ رجل مطروح على الارض ميتاً ووجههُ مثل وجههِ تماماً فاستيقظ حينئذٍ وهو يقول اضغاث احلام. واراد ان يغمض عينيهِ ثانيةً وينام ولكنهُ رأى ان الفجر قد بزغ فنهض وايقظ خادمهُ وامرهُ ان يشد على مركبتهِ و يوقظ رجال القبيلة

ولما ان اجتمع رجال القبيلة حول شيخهم وجلوا هم باخوم ليفطر معهم فابى قائلاً انهُ حان الوقت للطوفان حول الارض

وسارت الجماعة معاً بعضها على ظهور الخيل و بعضها في مركبات وسار هو في مركبتهِ مع خادمهِ الى ان وصلوا الى السهل قبلما أشرقت الشمس فنزلوا على رأس تلة وتقدم الشيخ من باخوم واشار الى سهل فسيح وقال لهُ كل هذا السهل لنا فاختر منهُ ما تريد

وكان السهل مرجاً واسعاً لا ترى العين آخرهُ وقد غطاهُ الكلأ وعلا حتى اذا مرَّ رجل فيهِ لا يبين . ثم خلع الشيخ قبعتهُ ووضعها على رأس التلة وقال لباخوم قل لخادمك ان يقيم ههنا عند هذه القبعة وسر انت حول الارض التي تريدها مبتدئاً من ههنا ويجب ان تعود وتبلغ هذه القبعة قبل مغيب الشمس وكل الارض التي تدور حولها في بحر النهار هي لك بالف ريال

فاخرج باخوم الدراهم من جيبهِ ووضعها على القبعة وخلع جبتهُ ووضعها الى جانبها وشدَّ منطقتهُ واخذ معهُ بعض الارغفة ودورقاً من الماء والتفت يمنةً ويسرةً ليرى في اي الجهات يسير فحار في امره لان السهل كلهُ على نسق واحد واخيراً اختار ان يسير مشرقاً . ولم تكد الشمس تبزغ فوق الافق حتى اخذ يعدو امام الجماعة ولما قطع نحو ميل وقف فدقوا وتداً في الارض ثم استأنف السير لا سريعاً ولا بطيئاً الى ان حسب انهُ قطع ميلاً آخر فوقف حتى دقوا وتداً آخر . ولم يكد يتم الميل الثالث حتى شعر بالحر فخلع قفطانهُ واستأنف السير والتفت الى الاكمة فرأى شيخ القبيلة واتباعهُ لا يزالون جلوساً عليها يرأى منهُ . وسار ثلاثة اميال اخرى فاشتد الحر جداً والتفت الى الشمس وقال حان الوقت لآكل لقمةً واطعن

التي قطعت ربع المسافة ولا يزال امامي ثلاثة ارباعها فيحسن بي ان اخلع نعليَّ واعد ثلاثة اميال ادور الى الشمال والارض اجود من ان اتركها واراها تزيد جودةً كلما تقدمت . فاستمرَّ في سيره واخيراً التفت الى ورائه فرأى التلة عند الافق والرجال عليها صغار كالنمل فابرقت اسرتهُ وقال لقد قطعت الآن قطعة كبيرة من هذه المروج فصار عليَّ ان ارجع

وجعل العرق يتصبَّب من بدنهِ وشعر بعطش شديد فوضع الدورق على فيهِ وشرب وهو سائر ثم وقف بغتة وقال للرجال الذين معهُ ان يدقوا وتداً ودار الى اليسار . وكان المشي طويلاً والحر شديداً فالتفت الى الشمس واذا هي قد تكبَّدت السماء فشعر بالجوع مع التعب ففتح زودهُ واكل قليلاً وهو واقف ولم يجلس لانهُ خاف ان يجلس فيغلبهُ النعب والنعاس فينام وبعد ان وقف بضع دقائق استأنف السير وكان قد استردَّ بعض قوتهِ بالطعام فسار اولاً بخطىً واسعة ولكن كان الحر قد اشتدَّ جداً حتى صار فوق الاحتمال وكاد التعب والنعاس يتغلبان عليهِ لكنهُ قال في نفسهِ تعب ساعة وراحة العمر فتنشَّط وواظب على السير الى ان قطع اربعة اميال . وعزم حينئذٍ ان يدور نحو التلة لكنهُ رأى مرجةً مبسوطة امامهُ كراحة اليد والنبات فيها على اخصبهِ فقال ما اصلح هذه البقعة لزرع الكتان وهل يليق بي ان اتركها فسار الى ان وصل الى آخرها ودق وتداً هناك ودار قاصداً الوصول الى التلة قبل ان تغيب الشمس لئلاَّ يخسر كل شيء . ونظر الى التلة فرآها على حد الافق وقدَّر انهُ صار على عشرة اميال منها وكان قد قطع ضلعين من اضلاع مربع وعليهِ ان يقطع ضلعين آخرين قبل ان يصل اليها فقال لا بدَّ من تقصيرهما لانني طوَّلت الضلعين الاولين اكثر مما يلزم فينبغي ان اقصر هذين فسار حتى قطع ميلاً وتنفَّس الصعداء والتفت الى التلة فرأى ان لا بد لهُ من ان يسير اليها على خط مستقيم . وكانت رجلاهُ قد تورَّمتا وقوتهُ خارت من التعب وصار يستحيل عليهِ ان يقف ليستريح لان كل دقيقة تضيع قد تخسرهُ الارض والثمن فجعل يتأوَّه من الم رجليهِ . ثم تذرَّع بالصبر واسرع العدو والدم يقذف من قدميهِ فطرح قبعتهُ وسلَّم والتفت فاذا الاكمة لا تزال بعيدة منهُ فجعل يلعن الطمع وكاد يقطع الامل من الوصول اليها فتشدَّد ريقهُ ولصق لسانهُ بحلقهِ وتبلَّلت ثيابهُ بالعرق ولصقت بجلدهِ وجعل قلبهُ يخفق وخدرت قدماهُ فبطل شعورهُ بهما ونسي الارض وما فيها وصار يخشى ان يقع ميتاً من التعب والاعياء وتصوَّر الموت امامهُ بصورة رهيبة لكنهُ قال في نفسهِ ماذا يقول الناس عني اذا وقفت الآن وابطلت السعي . وكأنهُ سمع رجال البشكير يضحكون عليهِ ويهزأون بهِ فاستجمع ما بقي فيهِ من القوة والرمق وكدَّ نحو الاكمة وكان قد قرب منها وصار

يميز الرجال عليها واذا هم يشيرون اليهِ لكي يسرع ثم رأى القبعة التي لا بدَّ من وصولهِ اليها قبل غروب الشمس فتشدَّدت عزائمهُ وقوي املهُ بالحصول على الارض التي اختطها لنفسهِ ثم خطر على بالهِ الخلم الذي حلمهُ وتمثل لهُ شخصاً الذي رآهُ ميتاً فارتعدت فرائصهُ وقال في نفسهِ ترى هل يودُّ الله في اجلي حتى اتمتَّع بهذه الارض واذا لم يفعل فاكون انا الجاني على نفسي بطمعي . ثم التفت الى الشمس واذا قرصها يكاد يمس الافق فاندفع بكل جهدهِ نحو التلة الى ان بلغها والتفت الى الشمس واذا نصفها تحت الافق وخطر لهُ حينئذٍ انها وان غابت عن اسفل التلة تبقى مشرقة على رأسها فجرَّ نفسهُ وهو يدب على يديهِ ورجليهِ الى ان وصل الى اعلى التلة وحينئذٍ زأت قدمهُ فسقط على وجههِ لكنهُ مدَّ يديهِ بكل ما بقي فيهِ من الرمق الى ان لمس القبعة وهو مرتمٍ على الارض . فهتف لهُ رجال البشكير وهم يقولون احسنت احسنت عفارم عفارم . واسرع اليهِ خادمهُ لينهضهُ واذا بالدم يتدفق من فيهِ وهو جثة هامدة . وجلس رئيس القبيلة امامهُ وهو يقهقه و يفحص الارض برجليهِ ثم نهض وتناول رفشاً وسلمهُ للخادم لكي يحفر لهُ قبراً . وركب هو ورجالهُ خيولهم ومركباتهم وعادوا الى خيامهم . وحفر الخادم قبراً لسيدهِ طولهُ ست اقدام وعرضهُ ثلاث وواراهُ فيهِ وهذا كفاف الانسان من الارض

الطب الشرعي

١ — الطب الشرعي — ٢ — الطبيب الكشاف والخبير — ٣ — التقرير الطبي الشرعي — ٤ — الاهمال في تعاطي صناعة الطب والتدجيل — ٥ — السر الطبي — ٦ — فحص الاحياء والاموات — ٧ — عمل الصفة التشريحية والآلات اللازمة — ٨ — صندوق الاسعاف

الطب الشرعي هو بحث في تطبيق العلوم الطبية على الاجراءات القانونية فهو بذلك خاص بالمعلومات التي لها مساس بالقانون من جهة ومن جهة اخرى شامل لكل العلوم الطبية . وقد توسع بعض الاطباء الشرعيين وادمجوا فيهِ كل فن لهُ علاقة بالقانون حتى القوانين الصحية

الطبيب الكشاف والخبير

الطبيب الكشاف هو الذي يطلب منهُ المحقق الكشف عن مصاب او جثة كشفا

سطحيّ او تشريحها لمعرفة كيفية حدوث الاصابة وتاريخ حدوثها والمدة اللازمة لعلاجها او لمعرفة سبب الوفاة وتاريخ حدوثها ايضاً وقد يكون ذلك في محل الحادثة او بعيداً عنها

الاطباء الكشافون في القطر المصري هم اطباء المراكز والمستشفيات ومفتشو صحة المديريات والمحافظات

الخبير الطبي عادة هو الطبيب الشرعي بمصر او مساعدوهُ وفي بعض الاحيان يقوم بالكشف الابتدائي او يعيد الكشف عن مصاب او جثة سبق الكشف عنها سواء دفنت او لم تدفن او يبدي رأيهُ في تقارير طبية عملها سواهُ او يكشف عن مصاب بعد شفائهِ ليعرف هل تم شفاؤهُ او لم يتم وغير ذلك من الاعمال الهامة التي تحتاج الى خبرة واسعة ليست لسواهُ . وفي كثير من الاحوال يستعين المحقق بأقوال خبراء غيره اختصاصيين في فروع مخصوصة كالرمد او الاسنان او امراض النساء او العظام كفحصها بالاشعة والتصوير وغير ذلك . ويجدر بي في هذا المقام ان اقول انهُ ليس في مقدرة كل طبيب ان يقوم بمهمة الطبيب الكشاف او الطبيب الشرعي . فقد يكون من اعلم الاطباء واشهرهم ولكنهُ امام مسألة طبية شرعية صغيرة قد يبدي آراء تكون السبب في تقويض اركان العدالة وقد يكتب تقريراً غير واضح او يملأهُ بالاصطلاحات التي لا يفهمها المحققون او بلغة معقدة . فالطبيب الكشاف يجب ان يكون لديهِ علاوة على معلوماتهِ الطبية خبرة بالمسائل الطبية الشرعية وان تكون لغتهُ سهلة الفهم يهتم باصغر الامور قوي الملاحظة ذا ذوق سليم

التقرير الطبي الشرعي

يجب ان يكون التقرير الطبي الشرعي عبارة عن حقائق طبية شوهدت وان يكون ما يستنتج من هذه الحقائق مفرغاً في قالب سهل بعيد عن الاصطلاحات الطبية ما امكن واحسن طريقة منظمة لكتابة التقرير هي تقسيمهُ الى ثلاثة اجزاء المقدمة والشرح والنتيجة . ففي المقدمة يذكر الانتداب وساعة حصولهِ ثم ساعة توقيع الكشف ثم يذكر القسم القانوني الذي يجب تأديتهُ قبل الشروع في الكشف ويجب ذكر اسم من حصل امامهُ القسم ونقيد وظيفتهُ . وفي الشرح يجب ترتيب ورود الحقائق الطبية فيذكر اولاً تاريخ الاصابة وثانياً الوصف الظاهري للجثة او الشخص فيذكر الاسم والجنس ووصف الملابس تفصيلياً وما يشاهد بها من الامور غير العادية وما يشاهدهُ من الامور التي ينتظر ان تكون ذات فائدة في الموضوع . ففي حادثة مشاجرة مثلاً يجب ان يذكر هل وجد تمزق بالملابس او دم ثم تذكر السن والعلامات المميزة كالوشم او ندب الالتحام ولون الشعر والقامة والبنية ثم الاصابات

الظاهرة . توصف بالتطويل كما سيأتي بحالة الجثة هل كانت متيبسة او متعفنة او فاقدة جزءاً منها وغير ذلك . وان لم يجد الطبيب شيئاً من ذلك يدونهُ صريحاً ثم يحترس في مقابلة الثقوب او الخروق التي في الملابس بالاصابات التي في الشخص او الجثة ويجب عليهِ ملاحظة حالة الجو لأهمية ذلك في التمعن اوفي وملاحظة وضع الجثة وما حولها . ويجب ان يبدأ بشرح الحقائق التي يشاهدها في مجلس الاصابة اولاً ثم ينتقل لباقي اجزاء الجسم او الجثة مبتدئاً بالرأس حتى يصل للطرفين السفليين فان لم يشاهد شيئاً في اي جزء من الجسم ذكر ذلك

واما النتيجة فلا يكتب فيها الاَّ ما يستنتجهُ من الحقائق التي ذكرها في الشرح ولا يرتكن الاَّ على الاصول الطبية الثابتة ولا يذكر ما رآهُ في الكتب ولا ما استنتجهُ سواهُ بل ما يراه هو وما يستنتجهُ . ولتكن النتيجة منظمة مرتبة خالية من الاصطلاحات الطبية بالمرة مستوفية بحيث لا يحتاج لمناقشة فيها و يذكر فيها في حالة الجثث التصريح بالدفن وذلك بعد اخذ رأي المحق ومحل الدفن ويجب ان يوقع معهُ من حضر الكشف من المحققين او مندوبيهم

في بعض الاحيان يطلب من الطبيب اعطاء رأي احتياطي في نفس محضر التحقيق فاذا كان الطبيب قد كوَّن لنفسهِ رأياً فيمكنهُ اعطاؤهُ وان لم يكن فليذكر ذلك صريحاً حتى يمكن للنادب ان يندُب سواه معهُ ليستعين برأيهِ . وأرى انهُ يجب على الطبيب اذا اشكل عليهِ امر ان لا يحجم عن طلب زميل لهُ معهُ فان هذه مسائل هامة ولا يعتبر ذلك جهلاً منهُ ابداً بل هو حرص على الحق واذا نوقش الطبيب في رأي شفهي ابدهُ فلا يتسرع في تأييدهِ او العدول عنهُ بل يجب ان يفكر كثيراً قبل الاجابة واذا اجتمع مع زملاء لهُ في مشورة طبية شرعية فلا يخجل في مخالفة زملائهِ بل يجب عليهِ التأني والمناقشة بعقل مع مراعاة آداب الصناعة واذا اختلف مع زملائهِ في الرأي فليدون ذلك في تقريرهِ ولا ينفرد بتقرير خاص بشكل غير مرض لان ذلك يحط من قدر الاطباء في اعين الغير . ويجب عليهِ ان لا يصر على رأيهِ اذا اتضح زللهُ بعد مناقشة زملائهِ المحققين

الاهمال والتدجيل

لم اسمع بان دعوى رفعت في مصر لمناسبة اهمال في تعاطي صناعة الطب وذلك لانهُ اذا حصلت وفاة فلا بد من تشريح الجثة وهذا امر يستهجنهُ الاهالي وفضلاً عن ذلك فالاهمال يصعب اثباتهُ وهو اما اهمال في التشخيص او العلاج . فاهمال التشخيص كعدم معرفة الكسر في المفصل من الرض او الالتواء او الخلع وقد ينشأ عن ذلك عاهة مستديمة . والاهمال في

العلاج كترك المريض بلا علاج بالمرة او عدم العناية به كترك قطعة قطن او جفت او غيره في البطن او عدم رد الخلع في وقته او ثقب الرحم في عمليات الولادة او استعمال الكهرباء وهي غير لازمة او التسرع في عمل عملية غير ضرورية . ومع ذلك فهذه جميعها اغلاط شوهد حدوثها على ايدي كثير من الاطباء والجراحين المشهورين والمدار في ذلك على حسن النية كما في حالة اعطاء المخدر لاجراء العمليات الجراحية فقد يموت المريض بلا سبب واضح وجميع احشائه خالية من الامراض التي تمنع اعطاء المخدر وانما الواجب ان يعطي المخدر العمومي طبيب مرخص لهُ بتعاطي صناعته . بابا الدجال فهو الذي يدّعي لنفسه فنًّا لم يدرسهُ و ينشأ عن تداخله فيه اضرار عديدة . والتدجيل الطبي يكثر بين طبقة الحلاقين والقورجية والقابلات و يظهر باجلى مظاهره في طرق الاجهاض . وسنتكلم على ذلك في موضعه ويجب الضرب على ايديهم كلما سنحت الفرصة وعدم التجاوز لهم عن عملهم مطلقاً

السرّ الطبي

المادة ٢٦٧ من قانون العقوبات تقول :

« كل من كان من الاطباء او الجراحين او الصيادلة او القوابل او غيرهم مودع اليه بمقتضى صناعته سر خصوصي اتتمن عليه فافشاهُ في غير الاحوال التي يلزمهُ القانون فيها بتبليغ ذلك يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ستة شهور او بغرامة لا تجاوز خمسين جنيهاً مصريًّا »

فمن ذلك ترى انهُ اذا كان بافشاء هذا السرّ يمنع الطبيب حصول جريمة فلا عقاب عليه ولكن اذا دخل منزلاً فمحرم عليه ان يفشي الامور التي يعتبرها اصحاب المنزل سرًّا خاصًّا بهم كأوصاف السيدات او اي جزء من اجسادهن او اذاعتهُ بان سبب جنون شخص دينهُ او اذاعة انواع الامراض

المادة ٣٠٥ من قانون العقوبات :

« كل من علم من الاقوكاتية او الوكلاء او غيرهم بواسطة صناعته او خدمته بامر ما او بتوضيحات عن ذلك الامر لا يجوز لهُ في اي حال من الاحوال الاخبار بذلك الامر ولا بالتوضيحات ولو بعد انتهاء خدمته او اعمال صنعته ما لم يكن الغرض من تبليغ ذلك اليه ارتكاب جناية او جنحة »

المادة ٣٠٦ من القانون نفسهُ :

« ومع ذلك يجب على الاشخاص المذكورين في المادة السابقة ان يؤدوا الشهادة عن الامر والتوضيحات المتقدم ذكرها اذا طلب منهم ذلك من بلغها اليهم »

وهنا اذكر مسألة الشهادات الطبية من حيث علاقتها بالسر الطبي فاذا كان الطبيب موظفاً ومن ضمن وظيفته كتابة مثل هذه الشهادات فلا جناح عليه اذا صرح بنوع المرض بصفة رسمية اما بغير ذلك فلا حق له في اعطاء شهادة طبية عن حالة شخص لآخر بل يعاقب جنائياً على ذلك اما اذا اعطاها لنفس الشخص فلا عقاب عليه

فحص الاحياء والاموات

يدعى الطبيب بصفته طبيباً كشافاً رسمياً او طبياً يشتغل لحسابه للقيام بالأمور ات الآتية :—

فحص رجل او امرأة بالغة او دون سن البلوغ . فحص رجل او امرأة بالغة ولكن لا يمكن ايهما ان يقبل توقيع هذا الكشف . وفي كل هذه الاحوال يكون الرجل او المرأة متهماً او مجنياً عليه او مشتبهاً فيه فقط . ففي جميع هذه الاحوال في مصر يكشف الطبيب المندوب رسمياً بلا استئذان المكشوف عليهم ما دام هذا الكشف يحصل بناء على طلب المحققين ولكن في حالة المرأة يحسن استئذانها والبنت يطلب اذن ذويها وفي الحالتين يجب وجود امرأة اخرى مع الطبيب الكشاف وان تعذر ذلك يترك الباب مفتوحاً نصف فتحة . ومندوب التحقيق يقف بالباب او داخله ان لم يكن الكشف على اعضاء التناسل واما الاطباء غير المندوبين رسمياً لكشف الطبي الشرعي فلا حق لهم في اجراء الكشف الاَّ بارادة المرضى المحضة والاَّ عرضوا انفسهم للعقاب . وقد يدعى الطبيب للكشف عن فتاة او خادمة لمعرفة ما اذا كانت بكراً او ثيباً او حبلى فعليه ان يفهمها ذلك قبل الكشف و يأخذ منها قبولاً اذا كانت نتيجة الكشف في غير مصلحتها بامكان اذاعتها لطالبي الكشف وكذلك في احوال المرضعات اذا طلب الكشف على احداهن ليعرف هل كانت مصابة او غير مصابة بمرض معروف . اما مرجع فحص الاموات فالمرجع الاطباء المحققين هم الذين لهم حق الكشف عن الموتى واعطاء شهادة بالوفاة والتصريح بالدفن . والاطباء الخصوصيون لهم الحق فقط في اعطاء شهادة بالوفاة في حالة المرضى الذين كانوا يعالجونهم قبل الوفاة مباشرة . واما فحص الجثث لمعرفة سبب الوفاة الجنائي فهذا لا يفعل الاَّ بامر المحقق سواء كان من البوليس او النيابة . وكذلك اجراء عملية التشريح . في الاحوال التي لا بد من التشريح فيها يجوز ان يعمل بامر البوليس وفي الاحوال المشتبهة والعارضية يجب ان يكون بامر النيابة ويجوز للطبيب

ان يفحص الجثة ظاهرياً ليعلم هل هناك سببٌ جنائي للوفاة بناء على طلب اقرباء المتوفى فاذا وجد شبهة اخطر النيابة لتتصرف في الجثة

عمل الصفة التشريحية والآلات اللازمة لها

قبل البدء بعمل الصفة التشريحية يجب فحص الجثة من الظاهر كما شرحنا ذلك سابقاً في موضوع التقرير الطبي الشرعي وخصوصاً لتحقيق شخصية المتوفى بعرض الجثة على اهله وان كان مجهولاً تؤخذ صورتهُ الشمسية ويجب تشريح جميع اجزاء الجثة ولا يكتفى بموضع الاصابة لمعرفة سبب الوفاة لانهُ اذا ترك جزء بلا تشريح يعرض الطبيب كشفهُ للتجريح بواسطة المحامين كما انهُ لا يمكن الطبيب ان يقسم ويجزم بان سبب الوفاة هو كذا فيجوز انهُ ترك الرأس بلا تشريح وفي داخل الجمجمة ورم او غيرهُ لهُ دخل في الوفاة . ويجب اخذ مذكرات بكل ما يشاهدهُ بجوار الجثة وبقدر المستطاع ان يسرع في عمل الصفة التشريحية قبل ابتداء التعفن الرمّي فيها لانهُ يغير معالم الجثة . ويجب ان يوجه عنايتهُ الى محتويات المعدة فقد يجد في جدرانها ثقرحاً او تآكلاً او ثقباً فلا يتسرع ويحكم بان هذه الحالة مرضية بل ليعلم ان المعدة تأكل نفسها احياناً فالقرحة المرضية تكون حافتها مبتورة وغير رقيقة والغشاء المخاطي يمكن سلخهُ اذا شرعنا في ذلك مبتدئين من حافة القرحة او بالعكس والمفصلات اسفل الغشاء او الجزء الملتهب عند حافة القرحة غير متأثرة ويجوز وجود التصاقات ما بين المعدة والاحشاء المجاورة او وجود صديد او علامات الالتهاب الحيوسي واما في حالة التأكل الهضمي فحافتهُ غير مبتورة وغير رقيقة ولا يمكن سلخ الغشاء المخاطي منها لانهُ رخو ومجيني القوام ويكون التأكل في الغشاء والعضلات بدرجة واحدة والجميع رخو ولزج ولا توجد التصاقات ولا علامات للالتهاب الحيوي في جميع الانسجة

واما طريقة عمل الصفة التشريحية فهي ان يفتح الصدر اولاً برفع عظم القصّ وفحص احشائهِ ثم البطن بشق رأسي وآخر افقي عليهِ اسفل السرة مباشرة ثم العنق مع نشر الفك السفلي والمحافظة على العظم اللامي ثم الرأس برفع الفروة اولاً بشق يبتدئ من الخلف الى نقطة لصيوان الاذن وينتهي عند النقطة المقابلة لها امام الاذن الاخرى ثم تنشر الجمجمة وتفحص المخ وتشرح الاطراف والعامود الفقري ان كان هناك ضرورة

والآلات اللازمة جداً هي سكينان متينان ومشرط ومقص عادي ومقص امعاء ومنشار وشاكوش وازميل ومسبر رميز وخيط والادوات هي بشكير وصابون ومحلول فنيك وماء . وفي احوال التسمم تلزم ادوات اخرى سيأتي ذكرها

صندوق الاسعاف

ان لم يكن عند الطبيب صندوق مجهز كالمجهز للطبيب الكشاف خصيصاً من محل مانيورز واخوته بلوندرة فيمكنهُ اعداد صندوق معدن ٣٠ × ١٢ سنتي متر ومجهز بغلاية ولبة وعلبة يودوفورم ومكنة شعر او مرسى وار بطة وشاش سيانور ومشمع وقطن وزجاجة اقراص سليماني ومقص وخيط حرير ومسبر قنوي ومسبر مدرج وجفتي شرايين وجفت تشريح واير وقسطرة وانبوبة اسمارك وحقنة تحت الجلد وانابيب كافور واستركنين ومورفين واما السموم فلها صندوق خاص بها

الدكتور محمد زكي شافعي
طبيب مركز الفيوم

اثر الحروب

في الامم القديمة والحديثة

كتب الاستاذ جوردان رئيس جامعة لالند ستانفورد الاميركية مقالتين في مجلة العلم العام الاولى بعنوان « الانتخاب الحربي في اوربا » . والثانية بعنوان « الانتخاب الحربي في العالم القديم » . وقد اراد بالانتخاب الحربي اثر الحرب في الامم . واستعار هذا التعبير من الانتخاب الطبيعي في مذهب النشوء حيث اثبت دارون ان مدار هذا المذهب على انتخاب الطبيعة للاحياء وبقاء الاصلح منها للبقاء . ولكن كاتب المقالتين ابان ان فعل الحرب بالامم المخالفة هو ابقاء الضعيف وافناء القوي الاصلح للبقاء فهو عكس فعل الانتخاب الطبيعي

والاستاذ جوردان هذا هو الذي قيل منذ شهر ان الكونجريس الاميركي اي مجلسي النواب والشيوخ اختارهُ لمذاكرة الرئيس ولسن في توسط الحكومة الاميركية بين الدول المتحاربة سعياً الى الصلح . وقد رأينا ان نلخص مقالتيهِ مقدمين الثانية لتقدم موضوعها على موضوع الاولى قال :

رومية

وصف المؤرخ حالة السلطنة الرومانية في عهد الامبراطور ماركوس اوريليوس بقولهِ «كان الحصاد الانساني رديئاً » . اراد بذلك ان السكان كانوا على نماء والثروة على ازدياد ولكن كان هناك نحط في الاشداء من الرجال . فقد كادت الاسواق والمعسكرات تغص بالرجال وكان اهل العمل واهل البطالة كثاراً ولكن لم يكن في البلاد كفايتها من الجنود الاشداء مع ان الحرب شغلها الشاغل في ذلك العصر

لقد اعترف بعض انصار النشوء الاجتماعي بما للانتخاب الحربي من النتائج الوبيلة ولكن تطبيق المذهب الداروني على التاريخ لم يكد يظهر حتى الآن فيما نكتبهُ عن الحرب والسلم

كانت القبائل الرومانية في اوائل عهدها مؤلفة من اقوام ذوي شجاعة ونشاط يحبون العمل ولا يثقل عليهم شظف العيش . وقد قال فيهم احد المؤرخين « انهم لم يكونوا يحسبون احداً اعلى منهم او ادنى » لذلك طال عهد رومية بالجمهورية لان الرجال الاحرار يحكمون زمام انفسهم . قال كاسيوس « ليس الذنب على طوالعنا في صيرورتنا عبيداً محكومين بل الذنب ذنبنا » . وقد وضعت رومية اساس عظمتها يوم كانت حرة صغيرة لا مجد لها ولا ثروة ولا مستعمرات ولا عبيد

ولكن الحرية والاستقلال تلاشيا منها شيئاً فشيئاً وحل محلهما حب السلطة والاستبداد . فلم يكد القوم يشعرون بقوتهم حتى اخذوا يستخدمونها ضدّ اخوانهم . وهذا التحول افضى الى العدوان والاغتصاب والنهب والنزاع والتحفحة وسائر ما يلابس الحرب فراج بذلك استقلال الجمهور ضحية مطامع البعض وصار للوطنية معنى جديد بعد انتقالها من العائلة والبيت الى الجيش والمعسكر

قال احد مؤرخي الرومان يصف الانقلاب الذي طرأ على رومية بعد فتوحاتها ان « الهومو » حل محل « الثير » . ومعنى « الهومو » عامّة الناس ومعنى الثير خيار الناس دون شرارهم اي ان خيار الرجال قتلوا في الحروب فبقي في البلاد العامّة فقط لحرث الارض وولادة الاولاد وقام ابناء العبيد والاماء والاتباع مقام اهل الحسب والنسب

هذا ولم يكن سبب سقوط رومية بذخ اهلها ولا تحشهم ولا انتشار الرشوة فيهم ولا قسوة نيرون وكاليغولا ولا اشتغال نسل قسطنطين بالسفاسف والخرافات بل ان ذلك السقوط بدأ يوم تغلّب حب السلطة والسيادة على حب الاستقلال والحرية وزاد استبداد الامبراطرة بزيادة ضعف الشعب حتى كان يصح اتخاذهُ مقياساً تاريخيّاً يقاس به مقدار هبوط الامة وانحطاطها . فلم يستطع يوليوس قيصر ان يستبد بالسلطة ويفوق في القوة الاّ لان عهد سناتوس ويونيوس وبروتوس مضى وانقضى وكانت قوة اوغسطس قيصر قائمة بشخصه . وزادت قوة الامبراطرة المتأخرين بضعف الشعب حتى بات خنصر قسطنطين اغلظ من متني اوغسطس . ولم يكن سبب ذلك قوة قسطنطين بل انقراض الاقوياء من الشعب وبقاء الضعفاء على ضد ناموس الانتخاب الطبيعي حتى بات الامبراطور معبود القوم بعد ما كان عملهُ الاول الوقوف بينهم وبين اهل المطامع . ولا ريب ان اوغسطس رومولس هو آخر امبراطور

روماني عدّهُ شعبهُ اشبه الامبراطرة بالآلهة قبل قضى القوط الغزاة عليهِ وعلى مملكتهِ

ولو ان ابناء الجمهورية الرومانية تخوا عن الفتوحات لبقيت جمهوريتهم حتى يومنا هذا على الراجح . فقد زرعت بزور سقوط رومية يوم قُطع خيرة ابنائها عن ولادة الاولاد وتُرك الضعاف العجزة يتزاوجون و يتوالدون . ولم يكن لسقوطها علاقة بنوع الحكومة او بمقدار الثروة او بشيخوخة الامة . قال الاستاذ سيلي « ان سبب سقوط السلطنة الرومانية انتثارها للرجال » . وقد انتبه يوليوس قيصر الى قلة الرجال مع كثرة سكان المملكة وازدحامها بهم فقال ما لخلاصة ان السكان ينمون نموًّا مطرداً ورومية تغص باهلها كمستنقع يفيض ماؤهُ على جوانبهِ وبعض اصناف الرجال موفورون ولكن الفلاحين الخشان بقايا عصور رومية الاولى كانوا يضمحلّون سريعاً . ومثل تغير نوع الرجال ظهرت على الدولة الرومانية بوادر الانحلال . وقال الاستاذ بري « كانت نتيجة الحروب الرومانية تناقص صغار الفلاحين وازدياد الارقاء الذين لا ينتظمون في الجيش وبذلك حلّ العامّة محل الخاصّة وقام الضعاف مقام الاقوياء فامتلأت رومية بالطغام وتسنّم الاريكة الرومانية كل من وقع اختيارهم عليهِ فلا بدع والحالة على ما رأيت اذا ظهر قسطنطين اعظم من اوغسطس ولا بدع اذا بات الامبراطور فالنتينيانوس يؤدب رعيتهُ بالعقارب بعد ما كان طيباريوس يؤدبهم بالسياط اي ان طيباريوس على قسوتهِ وشراسة اخلاقهِ كان اوسع خلقاً واخفّ وطأة على رعيتهِ من فالنتينيانوس الذي عدّهُ قومهُ من المحسنين

وكانت الحروب تقام والمواليد على تناقص وتنبه ساسة الرومان الى انحطاط الامة كمًّا وكيفاً فسعوا في سدّ نقص العدد بجلب السكان من خارج المملكة اليها طوعاً او كرهاً . اما النقص في الصفات فاستعصى على العلاج . قال الاستاذ زمّت « لما ظهر رجال الحكومة بمظهر اشباه الآلهة حوّطوا انفسهم بما يناسب هذا المظهر ولبسوا له لبوسهُ وازدانوا بغواشيهِ فكان على هذا الاثر ان الموظفين تضاعفوا والرعية فقدت حقوقها فملأت رهبة الحكام وخشيتهم قلوبها وثمن اهل السلطنة بخسرة الزهو والتكبّر . وصار للامبراطور قوة عائلة في الجيش لا يد للرعية فيها . وكان هذا الجيش اصمّ لصوت العقل لا وطنية لهُ اذ كان بلا وطن ولا مروءة تجول في صدورهِ اذ كان فاقد الروابط العائلية . وكيفما قلّبت التاريخ الروماني تجد الناس صنفين لصًّا وبريئاً [1] وكلاهما يكره العمل ويستكرهُ . ولم تكن الحضارة الرومانية للبنيان بل للتقويض والهدم لانها كانت عسكرية »

(١) كان الرومان يلقبون الدخلاء بينهم بالبرابرة

وكانت عاقبة ذلك كله أن الامة فقدت ابناءها فاضطرت ان تلجأ الى الشاكرية[1] في حرث حقولها فكانت تستأجر قبائل برمتها لهذا الغرض . فلما قام الاجراء والعبيد والافاقون والطغام مقام الاحرار اهل النظر السديد والساعد الشديد وباتت المملكة بلا حول ولا قوة اجتاحها جموع الغزاة وعاثوا فيها مفسدين وقطنت عصابات البرابرة بلادها واتخذوها وطناً لهم ولكنهم لم يفتحوها وكان ضعف رومية المثقلة باصفاد الحروب فرصة القبائل الجرمانية التي اغارت عليها وملكتها . ولقد صدق برنارد شو حيث قال « ان الامة كالنحلة حينما تلسع تموت » بسط الدكتور اوتوميك الالماني في كتابه « سقوط العالم القديم » اسباب سقوط الدولة الرومانية فاشار في بدء بحثه الى الجمود العقلي الذي شمل السلطنة الرومانية في اوائل التاريخ المسيحي فقال انهُ لم تظهر حينئذٍ فكرة جديدة يعتدّ بها سواء كان ذلك في العلوم او المباحث الفنية والسياسية . وتلاشت قوة الابتكار في الآداب والفنون واكتفى اهلها بتقليد القديم . وكان سبب ذلك كله استئصال شأفة الخاصة والسراة بسبب الحروب

ومثل هذا جرى في اليونان حيث طال عهد الخصام وسفك الدماء بين الاحزاب السياسية الداخلية . وكان الخصام ينتهي بانتصار هذا الحزب وانخذال ذاك وكانت عادة المنصورين ان يقتلوا زعماء الحزب المخذول او ينفوهم من البلاد . وكثيراً ما كانوا يقتلون اولادهم ايضاً فافضى قتل النوابغ عن الجانبين الى انخفاض المستوى العقلي في الامة . قال سيك :

« ان حروباً داخلية مثل هذه تكب الامم بفقر ادبي لا يستقصى . ففي رومية ذبح ماريوس وسنّا اعيان الامة بالمئات والالوف . واسمن سلاّ في الديموقراطيين طعناً وقتلاً . ومن سلم من هذه المذابح سقط ضحية في يد الترايمفرايت[2] . ولما كان اليونان اوسع حيلة من الرومان جاء الرومان الخراب باسرع مما جاء اليونان . ومن كان منهم عصاميًّا فارتقى بجده في المناصب السياسية تألبوا عليه واسقطوهُ سريعاً فلم يبقَ في البلاد الاّ الجبناء وذريتهم . وكان عنوان ذلك الجبن ضعف قوة الابتكار واحتذاء الغير احتذاء تاماً والسير على التقاليد بلا تصرّف ولا تفنن »

ومن شذّ عن هؤلاء المؤرخين مثل قارو وانصاره قال ان رومية ماتت حتف انفها

---

(١) النهال المستأجرون (٢) حكومة من ثلاثة رجال في عهد الرومان . واشهر هذه الحكومات الحكومة التي تألفت من بمبي وكراسوس ويوليوس قيصر في القرن الاخير قبل التاريخ المسيحي والحكومة التي تألفت من اوكتافيانوس (اوغسطس قيصر فيما بعد) ومارك انطونيوس وليبدس في اواسط القرن الاول من التاريخ المسيحي

لانها شاخت . ولكن من الوهم ان يتصور ان الامم تولد وتشب وتشيب طبقاً لناموس ثابت كالناموس الذي يخضع له الافراد . فان الامة مجموع احياء وهي عرضة للشتات اذا ساءت قيادتها او هاجمها عدو اقوى منها ومتى قلت نسبة اهل العقول والقلوب فيها كان مستقبلها نتيجة القوى التي بقيت فيها . وقد هزأ سيك بقول القائلين ان رومية ماتت حتف انفها وانكر قول من قال ان سقوطها نشأ عن البذخ او اهمال الخطط الحربية او عن المغالاة في الحضارة قال :

« ولا يُعقل ان الرومان ضُرُّوا من زيادة الحضارة ولا ان بذخ اغنيائهم كان سبب سقوطهم . فان اغنياء القرنين الخامس عشر والسادس عشر لم يكونوا اقل بذخاً منهم ومع ذلك لم يُحل بذخهم دون تقدم الامم التي ينتمون اليها . وزد على ذلك ان اهل البذخ في رومية كانوا اكثر تفرقاً من اهل البذخ في كل بلد اوربي حديث وان جمهور الرومان كان في كل زمان كثير التقشف والزهد في معيشته بطبيعة الحال . وهل يتصور ان امة حربية مؤلفة من ملايين عديدة تمسي مختشة ببذخ بضع مئات منها . فقد مضى زمان طويل والمؤرخون يتحدثون عما للاغنياء والامراء في العالم من اليد الطولى في تغيير وجهه وتعيين مستقبله . على ان نصف المملكة الرومانية كان مؤلفاً من البرابرة الخشان الذين لم تصقلهم الحضارة اليونانية ولا ثقفتهم المدنية الرومانية

« ومهما يكن السبب البعيد في سقوط الدولة الرومانية فان السبب المباشر لسقوطها هو انحلال قواها الجسمية لا الادبية . فقد بقيت الجيوش الرومانية حيث كانت على الدوام من قبيل البسالة وحسن النظام وادارة الحرب على مقتضى العلم . وكان امبراطرة البريكوم الفلاحون - يرخلف لاسلافهم من امثال سفسناتوس ومار يوس . ولكن بقيت مسئلة سد النقص في الجيوش . فان الرجال قلّوا فتقوضت اركان الامبراطورية الرومانية من قلة الرجال »

وبينا انا اكتب هذه السطور نُشر كتاب من قلم الدكتور الفرد شولتس في نيويورك ذهب فيه الى ان سبب سقوط رومية النغولة اي فساد دم الرومان بامتزاجه بدماء القبائل الخاضعة لها . وعندي ان النغولة كانت نتيجة انحطاط رومية لا سبباً له . فان رجال القبائل التي اخضعتها رومية أخذوا لسدّ الفراغ الحادث من هلاك رجال الرومان في الحروب . والاستمرار على قتل الاصح فتح مجالاً واسعاً للامم غير الرومانية التي باعت سرير الملك مرة بالمزاد العلني . ولما قتل الرومان في الحروب الداخلية والخارجية اندفع الدم الغريب والدخيل من كل فج وصوب ليملأ مكان الاصيل

قال جبن « وكان الرومان يزدادون قصر قامة كل يوم فحطت السلطنة الرومانية بالافرام حتى اجتاحها جبابرة الشمال فاصلحوا ما افسده الزمان فيها واعادوا اليها الرجولة والاستقلال . وبعد ثورات دامت عشرة قرون اصبحت الحرية ام العلم والذوق السليم » . وكانت الامة الايطالية الحاضرة

اليونان

كان اليونان فيما سلف من الدهر قادة العلم في الفنون والشعر والفلسفة . وكان ابهى بناء بناه الناس قصر السلام او البارثنون الذي اقامه بركليس تذكاراً لانتهاء الحروب اليونانية . وبقي قائماً ما ينيف على الفي سنة الى ان هدم في اواخر القرن السابع عشر للمسيح

لكن مجد اليونان كان قد انقضى قبل تهدم البارثنون وكان سبب انقضائه فناء الرجال الاقوياء بالحرب . فقد كانت المدنية اليونانية في اوجها مبنية على الرق اذ كان في اليونان رجل حر واحد لكل عشرة ارقاء . فلما ذهب الاحرار حل العبيد محلهم قادمين من الشمال ما بين بلغاري والباني وفلاخي وامثالهم . ولا تزال اللغة اليونانية القديمة حية اما اليونان القدماء يونان الآداب والفنون والفلسفة فلن يعرف مكانهم . قال المستر ارلند « ان معظم الامة اليونانية القديمة زال و يقطن البلاد الآن قوم من السلالة الصقلبية . وهناك ما يحمل على الاعتقاد بان في جيش ادم باشا العثماني من دم ابطال اليونان القدماء اكثر مما في جنود الملك جورج »

وقد عزا شولتس سقوط اليونان الى مثل السبب الذي افضى الى سقوط رومية وهو تزاوج اليونان والقبائل البربرية التي تدفقت عليها من كل جهة . وكان هؤلاء الدخلاء يزدادون كلما نقص اليونان الاحرار بالحروب . ثم حرر العبيد ليحلوا محل اليونان الاحرار الذين قتلوا في ميادين الحرب وحينما هلك هؤلاء حل الدخلاء محلهم . ومن المحقق ان سكان بلاد اليونان الحاليين ليسوا امة واحدة والفرق بين الذين يسمون يونانيًا و بين سائر البلقانيين ان سكان بلاد اليونان يتكلمون لغة مشتقة من اليونانية القديمة

ولكن عند مقابلة اليونان معاصرينا باليونان القدماء نقول إنصافاً لهم انهم متصفون بكثير من الخلال الطيبة . ومن تلك الخلال الصراحة والرجاء والغيرة الوطنية . واليوناني الجبلي يعرف قيمة الحرية وقد طالما قاتل في سبيلها . و يقال ان اهل ثساليا اقل استقلالاً وحبًا للحرية من سكان الجبال . ولا غرو فان ذلك شأن سكان البطاح والسهول اينما كانوا

الحال بعد الحرب

لا شبهة ان نفقات هذه الحرب فاقت كل نفقات الحروب قبلها . ويرى كثيرون من الباحثين ان ممالك اوربا التي اشتركت فيها لا تسترد ما خسرتهُ الاَّ بعد السنين الطوال . اما نحن فلا نرى ذلك لان الاموال التي انفقتها الدول المتحاربة استدانت اكثرها من شعبها ثم ردّت اليهِ اكثر ما استدانتهُ منهُ . ولان الناس اضطروا الآن الى الاقتصاد في نفقاتهم فاقتصدوا منها ما يساوي جانباً كبيراً من النفقات الحربية

وقد طرق المستر اليس باركر الكاتب الانكليزي المشهور هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فتوسَّع فيهِ وبيَّن بالادلة الكثيرة ان البلاد الانكليزية ستنهض من عثرتها وتسترد ثروتها وترّوج صناعتها وتجارتها بعد الحرب رواجاً يسلي الناس ما خسروهُ فيها . ومما قالهُ في هذا الصدد ان المانيا انفقت في تسعة اشهر على حربها الماضية مع فرنسا ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وان ترعة بناما وهي اكبر الاعمال الهندسية التي عُملت في الدنيا انفقت عليها الحكومة الاميركية ٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وان حرب البوير التي دامت ثلاث سنوات انفقت فيها انكلترا[1] ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اما الحرب الحاضرة فتنفق فيها انكلترا كل شهرين مقدار ما انفقتهُ في حرب البوير مدة ثلاث سنوات

وقد بلغت نفقات انكلترا في هذه الحرب حتى الآن نحو ٤٣٠٠ مليون جنيه واذا دامت الحرب سنتين اخريين فلا يبعد ان تستنزف ثلث ثروة البلاد الانكليزية لانها تقدَّر بنحو ١٢٠٠٠ مليون جنيه . وقد كانت النفقات السنوية للحكومة الانكليزية قبل الحرب ٢٠٠ مليون جنيه فلا يبعد ان تصير بعدها ٤٠٠ مليون جنيه لما يقتضيهِ ربا الدين الجديد ومعاشات الذين اصابتهم العاهات في الحرب والذين قتل ذووهم فيها فهل تستطيع الامَّة الانكليزية تحمُّل هذه النفقات كلها واحتمال اعباء هذه الديون

منذ مئة سنة وضعت الحرب اوزارها بين انكلترا وفرنسا (حرب نبوليون) بعد ما انفقت فيها انكلترا ١١٠٠ مليون جنيه . نعم ان الديون التي استدانتها في تلك الحرب لم تبلغ سوى ٦٠٠ مليون جنيه ولكن الحكومة زادت الضرائب في غضونها نحو ٥٠ مليون

(١) يراد بانكلترا في كل ما يلي البلاد الانكليزية اي انكلترا واسكتلندا وارلندا ويراد باميركا والحكومة الاميركية الولايات المتحدة الاميركية وحكومتها

جنيه فقد كانت الضرائب السنوية في اول الحرب سنة ١٧٩٢ نحو ١٩ مليون جنيه فصارت في آخرها سنة ١٨١٩ نحو ٦٢ مليون جنيه ولو جرت زيادة الضرائب مجراها الطبيعي حسب زيادة عدد السكان لبلغت ٣١ مليون جنيه فقط ولبلغ مجموعها كلها في تلك السنين ٦٠٠ مليون جنيه لكنهُ بلغ نحو ١١٠٠ مليون جنيه فالزيادة وهي ٥٠٠ مليون ضمَّت الى الديون لاجل نفقات الحرب ولذلك فنفقات تلك الحرب التي انفقتها انكلترا بلغت ١٠٠٠ مليون

وكانت ثروة انكلترا سنة ١٨١٤ تقدَّر بنحو ٢٧٣٧ مليون جنيه فالنفقات الحربية كانت بين ثلث ثروة البلاد ونصفها ومع ذلك حملتها البلاد ولم ترزح تحتها فلا عجب اذا حملت الآن نفقات تعادل ثلث ثروتها او اكثر

ثم انهُ لما كانت الحرب مع نبوليون زيدت الضرائب في البلاد الانكليزية اربعة اضعاف في عشرين سنة اما الآن فلم تزد الاَّ خمسين في المئة اي ثمن ما زادتهُ حينئذٍ وتظهر زيادة الضرائب حينئذٍ من النظر الى الجدول التالي

	سنة ١٧٩٢	سنة ١٨١٩
الاموال المقرَّرة	٣ ٨٣٧ ٠٠٠ جنيه	٢٥ ٤٣٨ ٢٥٠ طناً
ضرائب الاطعمة والاشربة والتبغ	٩ ٠٣٥ ٧٨٣ «	٢٩ ٤٠٦ ٤٩٤ «
عوائد الجارك والمواد الاصلية	١ ٤٦٧ ٠٠٠ «	٠٦ ٠٦٢ ٣١٤ «
عوائد المصنوعات	١ ٦٥٦ ٠٠٠ «	٠٤ ٠٨٠ ٧٢١ «
التمغة	٠ ٢٥٢ ٠٠٠ «	٠٢ ٧٤٣ ٠٠٠ «

وواضح من ذلك ان الضرائب بلغت بعد الحرب مع نبوليون ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ قبلها فاحتملها الانكليز مع انهم لم يكونوا في سعة نقابل بسعتهم الحاضرة ولا بدَّ من ان كثيرين شكوا منها حينئذٍ بحق او بغير حق كما سيشكو كثيرون الآن ولكن البلاد نجحت بعد تلك الحروب نجاحاً لا مثيل لهُ رغماً عما قدَّرهُ كثيرون من عظماء الرجال مثل فردوك انكير ونبولد في الاول وغيرهما وما ذلك الاَّ لان الضرائب الثقيلة التي القيت على عواتق الناس دفعتهم الى السعي والجد والتدبير والاقتصاد . ومتى عكف الناس على اعمالهم واقتصدوا في نفقاتهم زاد دخلهم وقلَّ انغماسهم في الملاهي والملاذ فزادت واليدم . وهذا يفسر ما قالهُ الاقتصادي الشهير ادم سمث وهو ان الرجال يكثرون حينما تدعو الحاجة الى كثرتهم . فان عدد الانكليز كان ١٠ ٩٤٢ ٦٤٦ سنة ١٨٠١ فبلغ ١٨ ٧٢٠ ٣٩٤ سنة ١٨٤١ اي كاد يتضاعف في اربعين سنة . وكادت غلة ارضهم تتضاعف

في هذه المدة فقد كان مجموع ايجارها ٢٢ مليون جنيه ونصف مليون سنة ١٨٠٠ فبلغ ٤٠ مليون جنيه سنة ١٨٤٣ وزاد سكان المدن الصناعية زيادة كبيرة جداً كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٨٠١	سنة ١٨٤١
سكان منشستر	٩٤٨٧٦	٣١١٠٠٩
« لفربول	٨٢٢٩٥	٢٨٦٤٨٧
« برمنجهام	٧٠٦٧٠	١٨٢٩٢٢
« ليدس	٥٣١٦٢	١٥٢٠٧٤
« شفيلد	٤٥٧٥٥	١١١٠٩١

وقس على ذلك سائر المدن الصناعية فان سكانها كلها زادت نحو ثلاثة اضعاف في اربعين سنة . اما المصنوعات فزادت اكثر من ذلك كثيراً كما ترى في الجدول التالي وفيه ما ورد الى البلاد الانكليزية من القطن والصوف لكي يغزلا وينسجا فيها وقد اكتفينا بالملايين

السنة	الوارد من القطن	الوارد من الحرير	الوارد من الصوف
١٨٠١	٥٤٠٠٠٠٠٠ ليبرة	١٠٠٠٠٠٠ ليبرة	٧٠٠٠٠٠٠ ليبرة
١٨٤٥	٧٢١٠٠٠٠٠٠ «	٦٠٠٠٠٠٠ «	٧٧٠٠٠٠٠٠ «

فالقطن الخام زاد اكثر من ثلاثة عشر ضعفاً والحرير زاد ستة اضعاف والصوف احد عشر ضعفاً . وكذلك تزاد ما استخرج من الحديد سبعة اضعاف فانه كان ٢٥٤ الف طن سنة ١٨٠٦ فبلغ ١٧٠٠٠٠٠ طن سنة ١٨٤٥

ومعلوم ان الفحم الحجري قوام الصناعة وقد بلغ المستخرج منه في البلاد الانكليزية سنة ١٨٤٥ اكثر من ٣١ مليون طن والمستخرج من بلجكا وفرنسا وروسيا والنمسا والولايات المتحدة الاميركية اقل من ١٨ مليون طن اي ان البلاد الانكليز كانت تستخرج نحو ثلثي الفحم الحجري المستخرج من الدنيا . وكانت تستخرج ايضاً ثلثي الحديد المستخرج من الدنيا . ومن ثم صارت انكلترا المعمل الكبير لصناعات المسكونة فنقضت ما تكمَّن به فردرك الكبير ونبوليون الاول اللذين قدَّرا انها ستزرح تحت اثقال ديونها الوطنية وضرائبها الفادحة وما ذلك الاَّ لأن الحاجة تفتق الحيلة ولان الانسان كسول بالطبع ولا يجدُّ

ويجتهد الاّ مضطرًّا فالضرائب الثقيلة تفتّ الكسل من محيي الكسل والبطالة وحملتهم على الجد والاجتهاد

اذا رأى الانسان انهُ تطلب منهُ اموال كثيرة فاول شيء يعملهُ انهُ يقتصد في نفقاته ويحرم نفسهُ من كثير من ملذاتها ثم يجتهد ليزيد دخلهُ بالعمل والاختراع والاستنباط. ولقد نبغ المخترعون في انكلترا في ذلك العصر عصر الشدّة والسعي مثل وط وبولتن وترفثك ومودسلي ولسمث وستفنصن وهرغريفس واركريت وكارترايت وسميتون وبربستلي ودلتن وفراداي ودافي ووددجود وكثيرين امثالهم

وكان الانكليز في النصف الاخير من القرن الثامن عشر والاول من القرن التاسع عشر اعلى امم الارض همّةً واقدامًا فاخترعوا اهم المخترعات الصناعية الحديثة وسبقوا غيرهم الى استعمال المخترعات التي اخترعتها الامم الاخرى. ثم تغيرت الحال بعد ذلك فصار الالمان والاميركيون يتناولون المخترعات الانكليزية ويعملون بها والانكليز يهملون امرها. فاستخراج الاصباغ من قطران الفحم اكتشفهُ عالم انكليزي ولكن الالمان استعملوهُ حتى كاد استخراج هذه الاصباغ ينحصر فيهم. والانوال الآلية استنبطها رجل انكليزي ولكن هذه الانوال قليلة الآن في انكلترا وكثيرة جدًّا في اميركا. وزاد التراخي في امر الصناعة الانكليزية في الخمسين سنة الاخيرة والسبب الاكبر لذلك غنى البلاد واستغناء اهلها عن الكد والكدح وميلهم الى الراحة بعد التعب. والمرجح انهُ اذا زادت الضرائب على الشعب الانكليزي حتى اضطرّ ان يعود الى سابق اجتهاده فلا يحتاج ان يخترع مخترعات جديدة بل حسبهُ ان يجري في اعماله على الاساليب الاميركية

والبلاد الانكليزية اصلح بلدان العمور لتوسيع نطاق الصناعة لغزارة مناجم الفحم فيها وقربها من البحر فتستطيع ان تنقل مصنوعاتها الى سفنها باقل ما يكون من النفقة وزد على ذلك ان مستعمراتها اوسع من مستعمرات سائر الدول فتجلب منها كل ما تحتاج اليهِ الصناعة من المواد الاصلية

وقابل الكاتب بعد ذلك بين اكثر الصناعات الانكليزية والاميركية اظهارًا للفرق بينهما في مقدار الاعتماد على الآلات البخارية. ونشر جدولاً كبيراً ذكر فيهِ عدد العمّال في كل صناعة وقوة ما يستعملونهُ من الآلات البخارية وقيمة ما يعملهُ الواحد منهم في السنة. وقد اخترنا منهُ المصنوعات الآتية

		قيمة ما يصنعهُ العامل في السنة	قوة الآلات البخارية لكل الف عامل
الاحذية	في انكلترا	٠٠٧٠١ جنيهاً	٠٠١٧٢ حصاناً
	في اميركا	٠٥١٦ «	٠٠٤٨٦ «
السمنت	في انكلترا	٠١٩٢ «	٠٣١٩٥ «
	في اميركا	٠٤٧٢ «	١٣٨٧٣ «
الثياب	في انكلترا	٠١٥٨ «	٠٠٠٤٥ «
	في اميركا	٠٤٨٤ «	٠٠١٦٥ «
المنسوجات القطنية	في انكلترا	٠٢٣٦ «	٠٢٢١٤ «
	في اميركا	٣٣٢ «	٠٣ ٢٣ «
الساعات	في انكلترا	٠١٣٧ «	٠٠١٢٥ «
	في اميركا	٠٢٩٦ «	٠٠٦٢٨ «
السكاكين ونحوها	في انكلترا	٠١٦٤ «	٠٠٤٢٠ «
	في اميركا	٠٣٢٣ «	٠٢٠٦٩ «
الاسلحة	في انكلترا	٠١٢٥ «	٠٠٥٩٥ «
	في اميركا	٠٤٦٤ «	٠١٢١٤ «
دبغ الجلود	في انكلترا	٠٦٨٦ «	٠٠٨٤٧ «
	في اميركا	١٠٥٤ «	٠٢٣٨٩ «
الاصباغ	في انكلترا	٠٨٦٣ «	٠١٣٧٥ «
	في اميركا	١٧٥٤ «	٠٤٠١٢ «
الورق	في انكلترا	٠٣٣٠ «	٠٤٢٠١ «
	في اميركا	٠٧٠٥ «	١٥٨٤٦ «

ولم يكن الامر كذلك في سالف الزمن لما كانت السيادة الانكليزية في الصناعة فقد كان الصانع منهم يعمل في يومهِ اكثر مما يعملهُ الصانع في كل بلاد اخرى . ولم يقتصر ذلك على

الصناعة بل تناول الزراعة والتعدين ثم تغيرت الحال فصار الانكليز في بلادهم اكثر منهم في غيرها فقد كان المتوسط السنوي لما يستخرجهُ العامل من الفحم الحجري بين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٩٠ في انكلترا ٣١٢ طنًّا وفي الولايات المتحدة ٤٠٠ طن وفي استراليا ٣٣٣ طنًّا وفي زيلندا الجديدة ٣٥٩ وفي كندا ٣٤١ فنقص المستخرج في انكلترا رويداً رويداً وزاد في غيرها رويداً رويداً حتى صار في انكلترا ٢٤٤ طنًّا وفي اميركا ٦٦٠ طنًّا وفي استراليا ٥٤٢ طنًّا وفي زيلندا الجديدة ٥٠٣ اطنان وفي كندا ٤٧٢ طنًّا

ولذلك زادت نفقات استخراج الفحم في انكلترا فبعد ان كانت نفقة استخراج الطن ٢٤ غرشاً سنة ١٨٨٦ صارت ٤٥ غرشاً سنة ١٩١٢ اما في اميركا واستراليا فزيدت اجور العمال ومع ذلك هبطت نفقات استخراج الفحم ولو قليلاً فكانت في استراليا مثلاً ٤٥ غرشاً للطن سنة ١٨٨٦ فصارت ٣٧ غرشاً سنة ١٩١٢

وكانت انكلترا سابقة المانيا في استخراج الحديد وعمل الفولاذ منذ خمسين سنة فسبقتها المانيا الآن في الاثنين كما ترى من هذا الجدول

		سنة ١٨٦٥	سنة ١٩١٠
المستخرج من الحديد	في انكلترا	٤٨٩٦٠٠٠ طنًّا	١٠٣٨٠٠٠٠ طنًّا
	في المانيا	٩٧٥٠٠٠ «	١٤٧١٣٠٠٠ «
المصنوع من الفولاذ	في انكلترا	٢٢٥٠٠٠ «	١٠٠٠٠٠٠ «
	في المانيا	٦١٠٧٠٠٠ «	١٣٦٩٩٠٠٠ «

مع ان استخراج الحديد وعمل الفولاذ اسهل في انكلترا منهُ في المانيا

وكما تأخرت الصناعة في انكلترا بسبب الغنى ورخاء المعيشة تأخرت الزراعة كما يظهر من المقابلة بين زراعتها وزراعة المانيا فان مساحة الاراضي الزراعية في انكلترا نحو ٤٧ مليون فدان وفي المانيا نحو ٧٨ مليون فدان ومع ذلك فقد بلغت غلة القمح والراي سنة ١٩١٢ في انكلترا ١٥٦٨٧٠٠ طن وفي المانيا ١٥٩٥٨٩٠٠٠ وغلة الشعير في انكلترا ١٣٢٤٠٠ طن وفي المانيا ٣٤٨٢٠٠٠ طن وغلة البطاطس في انكلترا ٥٧٢٦٣٤٢ طن وفي المانيا ٥٠٢٠٩٥٠٠ طن اي ان الارض الزراعية في انكلترا نحو ثلاثة اخماس الارض الزراعية في المانيا ومع ذلك فغلة انكلترا من القمح والراي عشر غلة المانيا ومن الشعير نحو ثلث غلة

المانيا ومن البطاطس نحو تسع غلتها . ويربي الالمان من المواشي اكثر جداً مما تقتضيه النسبة بين مواشي البلادين فعندهم من البقر مضاعف ما عند الانكليز ومن الخنازير اكثر من خمسة اضعاف ما عند الانكليز . والغنم اكثر في بلاد الانكليز منها في المانيا ولكن لا يعتنى بتسمينها كما يعتنى بتسمين الخنازير في المانيا

ومما يدل على اجتهاد الالمان واقتصادهم الاموال التي اودعوها بنوك الاقتصاد قبل نشوب الحرب فقد كانت هذه الاموال في انكلترا والمانيا واميركا كما ترى في هذا الجدول

السنة	في انكلترا	في المانيا	في اميركا
١٨٨٠	٧٧٧٢١٠٠٠ جنيه	١٣٠٦٩٠٠٠٠ جنيه	١٦٣٨٢١٠٠٠ جنيه
١٩٠٠	١٨٦٠٦٠٠٠ »	٤٤١٩٢٩٠٠٠ »	٤٧٧٩٤٤٠٠٠ »
١٩١٢	٢٣٥٩١٦٠٠٠ »	٩٣٠٩٩٠٠٠٠ »	٩٤٥٤٨١٠٠٠ »

فزادت هذه الاموال في انكلترا ١٦٠ مليون جنيه بين سنة ١٨٨٠ و١٩١٢ ولكنها زادت في كل من المانيا واميركا ٨٠٠ مليون جنيه اي ستة اضعاف ما زادتهُ في انكلترا

والظاهر ان هذه الحقائق ستنهض همة الانكليز وتضطرهم نفقات الحرب الحاضرة ليعودوا الى سالف عهدهم من الاجتهاد والاقتصاد فيسترجعوا في سنوات قليلة ما انفقوهُ عليها ولو لم يأخذوا شيئاً من الغرامة الحربية

وسيكون تأثير الحرب في فرنسا وروسيا والمانيا والنمسا من حيث دفع الشعب الى الاقتصاد والاجتهاد مثل تأثيرها في الشعب الانكليزي اي ان اكثر سكان اوربا سيصيرون خيل رهان في ميدان العمل فماذا يكون حالنا حينئذٍ نحن الشرقيين في هذا المعترك دل مجاري اهل الاقتصاد والاجتهاد او نمسي طعمة لكل آكل

لما ضربت الضائقة المالية اطنابها عندنا منذ سنة من الزمان جعل الناس يقتصدون في نفقاتهم حتى كادت مخازن البضائع الاوربية تقفل لقلة ما يباع منها . ولكن لم تنقضِ بضعة اشهر بعد ذلك حتى اخذت اموال الجيش البريطاني تنتشر في البلاد وتلتها الاموال من ثمن القطن فعاد كثيرون الى الاسراف الذي اعتادوهُ . والآن تكاد المخازن المشار اليها آنفاً تغص بالمترددين عليها وزاد دخل الجمارك سنة ١٩١٥ مع انها ستة حرب على دخلها سنة ١٩١٤ مع ان سبعة اشهر منها كانت سلماً . والمرء لا يعتبر الاَّ اذا مسَّهُ الضرُّ

الحرب وويلاتها

رأس الاستاذ دارد ستاد جوردان مؤتمر شركات الضمان الذي عُقد في المعرض الاميركي في ١١ اكتوبر الماضي وخطب فيه خطبة نفيسة في هذه الحرب وتأثيرها في التجارة وشركات الضمان فاقتطفنا منها بعض ما يأتي

ان مضار هذه الحرب كثيرة متعددة فانها شفّت عن كبائر تقشعرّ منها الابدان · ومطالب تنافي الحجى والجنان · واماني بالتوسع من اضغاث الاحلام · ومطامع بالكسب من طريق السلب والإغرام · ولو اقتصر الامر على المطامع والاماني لقلنا الظلم من شيم النفوس والنفس امّارة بالسوء ولكن رجال هذه الحرب لم يقفوا عند هذا الحد بل غاصوا في الزرد والحديد واستخدموا كل آلات الهلاك والدمار · واذا دارت رحى الحرب وثار غبار المعارك صُمّت الآذان عن سماع صوت الشرائع · وعميت العيون عن رؤية منكرات الفظائع · وبطل كل عمل يراد به اصلاح شؤون الناس

شرعت الحكومات الاوربية تستدين الاموال لاجل حربها بعد ما صارت نهائيّة · وقبل ذلك كان الملوك يستدينون الاموال من الاغنياء فيوفون ما يستدينونهُ او لا يوفونهُ حسب اهوائهم · وكان الذين يدينونهم الاموال يتقاضون منهم ربًا فاحشًا حتى اذا ضاع لهم دَيْن ربحوا من غيره ما يقوم مقامهُ · ولكن كانت اكثر الديون الوطنية مغارم ينتزعها الملوك غصبًا بالسجن والدهق فلما انشئت مجالس النوّاب صارت الاموال التي تستدان لاجل الحروب والاعمال العمومية بمأمن من الضياع فنشأت البيوت المالية التي تدين الدول كبيت روشيلد وكان من نتائج ذلك ان المانع الاكبر الذي كان يمنع الملوك من اثارة الحروب أُزيل لانهُ صار يسهل على الدول ان تستدين ما تحتاج اليهِ من الاموال لنفقات حروبها

ثم لما استُعمل البخار لتسيير السفن وانشئت سكك الحديد وسُهّلت طرق المعاملات بما وصل اليهِ العلماء من المكتشفات زادت السهولة في اقتراض الاموال ودفع فوائدها فزادت الدول دَيْنًا لانها رأت الدين اسهل سبيل تلجأ اليهِ كلما احتاجت الى الاموال لعمل عمومي ولم يضنّ عليها الماليون بمال لانهم رأوا مواردها مأمونة فلا يخشى على اموالهم وفوائدها من الضياع

والحروب اكبر مهلكات الاموال ولقد كانت كذلك من سالف الزمن ولا تزال · وقلّ تبطل حرب ما دام اصحابها يستطيعون الانفاق عليها سواء كانت هجومًا او دفاعًا واذا قصرت

اموالهم عن الانفاق لجأوا الى الاستدانة من الغير . ولكن للدين حدًّا لا يتجاوزهُ لان اصحاب الاموال لا يجودون بها الاَّ اذا كانوا واثقين انهم يستوفونها مع ربحها

واكبر الدواعي لاقتراض الدول للاموال الحرب او الاستعداد لها . ولولا الحروب ما اضطرت دولة من دول الارض الى اقتراض غرش . ولو استعملت الدول الآن كل الاموال التي تجبيها من رعاياها للاعمال السلمية لا لسواها لاجتمع لديها ما يكفي لايفاء كل ما عليها من الدين وعاشت بعد ذلك مطلقة اليدين . لكن دول اوربا تنفق على الحرب حتى في زمن السلم اكثر مما تنفق على غيرها

ابتدأ دين الحكومة الانكليزية وقتما ثارت الثورة في بلادها في اواخر القرن السابع عشر (سنة ١٦٩٣) وكان ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه ثم تلتهُ ديون اخرى رُهنت لايفائها مكوس الجمارك والضرائب التي ضربت على المشارب والارامل والزيجات والمآتم . ولما انقضت تلك الثورة كان دين الحكومة الانكليزية قد بلغ ٢٥٠٠٠٠٠٠ جنيه . وجاءت حروب نبوليون بعد ذلك فبلغت بها ديون الحكومة الانكليزية ٨٨٦٠٠٠٠٠٠ جنيه . ثم توطَّد السلم وجعلت الحكومة توفي ديونها شيئًا فشيئًا حتى هبطت الى ٦٢٨ مليونًا سنة ١٨٩٩ ثم زادت بسبب حرب البوير حتى بلغت ٧٧٠ مليونًا سنة ١٩٠٣ ونقصت رويداً رويداً بعد ذلك حتى بلغت ٦٥١ مليونًا في اوائل سنة ١٩١٤ لكن سنة واحدة من سني هذه الحرب رفعتها الى التي مليون جنيه

ودين الحكومة الفرنسوية ابتدأ في زمن الثورة وابلغهُ الاسراف حينئذٍ الى ١٤٠ مليون جنيه لكن الجانب الاكبر منهُ أُوفي باوراق مالية وباستصفاء اموال بعض الناس فلم يبقَ منهُ سوى ٣٢ مليون جنيه . ثم توسعت الحكومة الفرنسوية في نفقاتها بعدما اوقعت الفرنسة لالمانيا فبلغ دينها قبيل هذه الحرب ١٣٠٠ مليون جنيه ولم تمر سنة على الحرب حتى بلغ ٢٢٠٠ مليون جنيه

والامبراطورية الالمانية من الدول الحديثة في اوربا فهي اكثر اقتصاداً من سائر الدول الكبرى . وقد كان دينها نحو ٢٠٠ مليون جنيه فقط سنة ١٩٠٨ وكان دين الممالك المؤلفة منها ٨٠٠ مليون جنيه حينما نشبت هذه الحرب فبلغ دين المانيا الآن ١٨٠٠ مليون جنيه

وكان على حكومة الولايات المتحدة دين طفيف قبل الحرب الاهلية فزاد بها حتى بلغ ٢٧٧٣ مليون ريال او نحو ٥٥٥ مليون جنيه ثم هبط رويداً رويداً حتى بلغ ٩١٥ مليون ريال او نحو ١٨٣ مليون جنيه فقط

الاَّ ان على المجالس البلدية في كل الممالك ديونًا غير ديون الحكومة كأن ابناء هذا العصر

لم يشاءوا ان يحسنوا كل نفقات ما عمنوه من الاعمال العمومية فابقوا بعضها ديناً على ذريتهم من بعدهم وهذا عدل لا مشاحة فيه

وقد كانت ديون حكومات اوربا واميركا قبل الحرب تزيد على ستة آلاف مليون جنيه اي ثلاثة اضعاف النقود الذهبية والفضية في الدنيا و يبلغ رباها السنوي نحو ٢٥٠ مليون جنيه . ولكن النفقات الحربية العادية تزيد على ربا هذه الديون . فالحروب الماضية حمّلت الناس ديوناً رباها السنوي ٢٥٠ مليون جنيه والاستعداد للحروب المقبلة يحملهم من النفقة السنوية ما يبلغ ٥٠٠ مليون جنيه ناهيك بالمعاشات التي تعطى للجنود والضباط المتقاعدين ولعيال الذين قتلوا منهم . اما ما خسرتهُ هذه الممالك من اموالها ورجالها بسبب الحروب الماضية فما يفوق كل احصاء

قلنا ان ديون الحكومات الاوربية كانت قبل الحرب اكثر من ٦٠٠٠ مليون جنيه وقد زادت في السنة الاولى من هذه الحرب اربعة آلاف مليون جنيه فصارت ديون هذه الحكومات عشرة آلاف مليون جنيه . ولكن قيمة هذه الديون الآن اي قيمة سنداتها نقصت نقصاً فاحشاً وقد بلغ النقص في سندات بعض الممالك عشرين او ثلاثين في المئة وبلغت الخسارة المادية في الرجال والاموال ما يزيد على ٨٠٠٠ مليون جنيه

وضع بعضهم رواية مهاها الامبراطورية الخفيّة قال فيها ان سفير الولايات المتحدة الاميركية حاول اقناع وزير الامبراطورية الالمانية بان محاربة انكلترا لا تجدي المانيا نفعاً يقوله « ان الحرب الاهلية (في اميركا) كلفتنا عشرين الف مليون ريال (٤٠٠٠ مليون جنيه) عدا المعاشات التي دفعتها الحكومة بعد ذلك وعدا ما خسرتهُ البلاد من الرجال والاموال وما حلّ بالبيوت من الخراب والاضمحلال . وهذه العشرون الفاً من ملايين الريالات اموال انفقناها على الحرب فلو لم نلجأ الى الحرب لتحرير العبيد بل اشتريناهم بالثمن وحررناهم — ولنفرض ان عددهم اربعة ملايين واننا دفعنا ثمن كل عبد منهم الف ريال — لامكننا ان نحررهم كلهم من غير حرب وتوفر من الاموال التي دفعناها في الحرب ١٦ الف مليون ريال »

وقد وقعت الحرب التي قدّرت تلك الرواية وقوعها واقل ما يقال فيها انها حرب خاسرة ولو مالياً . فقد قدّر الاستاذ ريشه سنة ١٩١٢ انهُ اذا نشبت حرب اوربية عمومية كانت نفقاتها اليومية خمسين مليون ريال او عشرة ملايين من الجنيهات كما ترى في هذا الجدول

طعام الجنود	١٦٢٠٠٠٠٠٠	ريال
علف الخيل	١٠٠٠٠٠٠٠	»
اجور القسباط والجنود	٤٢٥٠٠٠٠٠	»
اجور العمال في دور الصنعة	١٠٠٠٠٠٠٠	»
اجرة نقل الجنود	٢١٠٠٠٠٠٠	»
» المؤونة	٤٢٠٠٠٠٠٠	»
ذخائر للمشاة	٤٢٠٠٠٠٠٠	»
» للمدفعية	١٢٠٠٠٠٠٠	»
» للدافع البحرية	٤٠٠٠٠٠٠٠	»
تجهيز الجنود	٤٢٠٠٠٠٠٠	»
نقل الجرحى	٥٠٠٠٠٠٠٠	»
نفقات السفن الحربية	٥٠٠٠٠٠٠٠	»
قلة الواردات	٥٠٠٠٠٠٠٠	»
اسعاف الفقراء	٦٨٠٠٠٠٠٠	»
قيمة ما يخرب من المدن يوميًّا	٢٠٠٠٠٠٠٠	»
والجملة	٤٩٩٥٠٠٠٠٠	»

وقد نقص الاستاذ ريشه النفقات كلها ولاسيما النفقات البحرية واغضى عن النفقات الجوية . ولعلّ النفقات كلها الآن لا تنقص عن ٧ مليون ريال في اليوم او ١٤ مليون جنيه هذا عدا ما يقتل من الرجال والخيل والبغال

يقال ان الحرب العوبة للملوك ولكنها ليست العوبة للشعوب التي تنفق فيها اموالها ودماء رجالها فقد قدّر المستر ادغار كرامند سكرتير بورصة لفربول ان نفقات هذه الحرب بلغت في اول اغسطس الماضي ٣٥٠٠ مليون جنيه واذا اضفنا اليها قيمة سائر ما اتلفته الحرب الى ذلك التاريخ بما فيه خسائرها ٢٠٠ مليون جنيه وان نفقات انكلترا وحدها بلغت تلك السنة على الحرب ٧٠٠ مليون جنيه اي مقدار ما تراكم على حكومتها من الديون في مئة سنة

وهذه التسعة آلاف مليون من الجنيهات التي اضاعتها اوربا بسبب الحرب في السنة الاولى هي اربعة اضعاف كل ما في ايدي الناس من الذهب والفضة . ولو كانت كلها ذهبًا لبلغ وزنها مئة الف طن . وهي تساوي كل ثروة المانيا وتزيد على ثروة روسيا وتعادل ثروة

ايطاليا واليابان وهولندا وبلجكا واسبانيا والبرتغال لو جمعت معاً . وتفوق كل الديون التي تراكمت على حكومات الارض قبل نشوب هذه الحرب

ولو أُنفقت هذه التسعة آلاف المليون من الجنيهات في الاعمال الخيرية والصحية لكفت لكل المشروعات التي من هذا القبيل في كل البلدان المتمدنة ولزالت بها عوادي الادواء واكثر اسباب البؤس والشقاء

قال احد كتّاب الروس « ان اعداءنا من الاحداث الجوية والمكروبات والحشرات تسطو علينا كل دقيقة بلا انقطاع ومع ذلك نغض الطرف عنها ويقتل بعضنا بعضاً كأننا فقدنا حواسنا ويعمل جنودنا كل سنة خمسة آلاف مليون يوم لكي نوسع قبوراً بعض التوسيع فلو بذلنا هذا الجهد في محاربة المكروبات والحشرات والحيوانات المفترسة لصحّت اجسامنا وسلمت مزروعاتنا . ولو عرف الناس اعداءهم الالداء لنفوا ما بينهم من المداوات وتحالفوا عليها حتى يفنوها وحينئذٍ تصير السيادة لهم حقيقة على هذه الارض »

يزعم الالمان ان السبب الاكبر لهذه الحرب هو حسد الانكليز لهم على نجاحهم الصناعي والتجاري . وهذا الزعم باطل ووقائع الحال تناقضهُ فان شركة همبرج اميركا وهي اكبر الشركات الالمانية التجارية كان صافي ربحها في السنة لا يزيد على ثلث نفقات السفن الحربية التي انشئت لحمايتها . ولو جُمعت ارباح هذه الشركة في سبعين سنة مثل السنة الاخيرة قبل الحرب ما وفت بنفقات هذه الحرب في سنة واحدة . وكل ارباح التجارة الاوربية البحرية في مئة سنة لا تفي بنفقات هذه الحرب في سنة واحدة . فالحرب لقتل التجارة كما تقتل كل وسائل العمران

كانت قيمة كل السندات والاسهم الصناعية والتجارية التي في ايدي الاوربيين قبل الحرب اربعين الف مليون جنيه فانظركم قيمتها الآن يتضح لك مقدار الخسارة المالية التي خسرتها اوربا في صناعتها وتجارتها

ولكن الصحيح ان الحسد التجاري سبّب هذه الحرب . ان اكبر الشركات البحرية التجارية في الدنيا شركتان المانيتان وهما شركة همبرج اميركا وشركة نزرد تشر لويد وقد بلغت هاتان الشركتان ما بلغتاهُ من النجاح بما كانتا تنقلانهِ من المتاجر الانكليزية . فهل يعقل انهما كانتا تودان الحرب التي تبطل ربحهما . ان الهربلين مدير شركة همبرج اميركا انفق على بناء الباخرة الكبرى المسماة امبراطور ٨ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه استدان ١٢٠٠٠٠٠٠ جنيه منها فهل يعقل ان لهُ يداً في هذه الحرب لكي تقف هذه الباخرة بلا عمل بعد ان سافرت

سفرات قليلة . وهل يعقل ان شركة النورد تشرلويد كانت تفكر في حرب تلقي باخرتين من اكبر بواخرها في احد المرافئ بلا عمل حتى تباعا لدفع رسوم بقائهما في المرفإ

اتجارة عمل مشترك يستفيد منهُ البائع والشاري على حدٍ سوى فلا يعقل ان يكون سبب هذه الحرب حسد الالمان للانكليز لنجاحهم التجاري كما لا يعقل ان يكون سببها حسد الانكليز للالمان لنجاحهم التجاري فان ما اصاب شركات الملاحة الالمانية كاد يصيب شركات الملاحة الانكليزية

ولكن الحرب لا تنشأ من نفسها ولا بدَّ لها من سبب او اسباب . ومن رأي الاستاذ ستار جوردان ان سبب هذه الحرب رجال يحبون الحروب دفعهم اليها اناس لا يحجمون عن عمل مهما كان شائنًا بعد ما طال التحريض على الحرب والترغيب فيها

الغذاء في اللحم

اكثر الاختلاف في لحوم الحيوانات التي تذبح وتؤكل وفي القطع المختلفة من ابدانها قائم بما فيها من الدهن فان العضل او اللحم الاحمر اكثرهُ بروتين ممزوج بثلاثة امثالهِ او اربعة امثالهِ من الماء والدهن الذي فيهِ راسب بين دقائقهِ او مجتمع في طبقات كبيرة حولهُ . ففي كل قطعة من اللحم مهما كانت دهن وبروتين ممزوج بثلاثة امثالهِ او اربعة امثالهِ من الماء . وهذا يصدق على كل انواع اللحوم كما ترى في هذا الجدول

انواع اللحم	الماء	البروتين	الدهن	المواد المعدنية
لحم البقر السمين	٥٩٫٧ في المئة	١٧٫٥ في المئة	٢٢٫٠ في المئة	٠٫٩ في المئة
« « الهزيل	٦٧٫٣ «	١٩٫٠ «	١٣٫٠ «	٠٫٩ «
« العجل	٧١٫٣ «	١٩٫٩ «	٨٫١ «	١٫٠ «
« الخرفان	٥٣٫٦ «	١٦٫٠ «	٢٩٫٨ «	٠٫٨ «
« الحملان	٥٨٫٢ «	١٧٫٦ «	٢٣٫٠ «	١٫١ «
« الخنزير	٣٤٫٤ «	٩٫٥ «	٥٥٫٣ «	٠٫٥ «
« الدجاج	٦٣٫٧ «	١٩٫٢ «	١٦٫٣ «	١٫٠ «
« سمك السمون	٦٤٫٦ «	٢١٫٦ «	١٢٫٨ «	١٫٤ «
« الشوط	٧٠٫٦ «	١٨٫٧ «	٩٫٥ «	١٫٣ «

ونوحّل لحم الغنم والبقر التي تذبح في هذا القطر لوجد مختلفاً عن لحم الغنم والبقر التي تذبح في اوربا عادة في نسبة الدهن الى البروتين فان الخروف الاوربي اليتهُ صغيرة جداً او لا الية فيهِ فيتوزع دهنهُ في بدنهِ وهو في الغالب اسمن من الغنم التي تذبح في هذا القطر والقطر السوري والثيران التي تذبح في اوربا اسمن جداً من الثيران التي تذبح في هذا القطر واكثر السمن في الغنم والثيران يكون ناتجاً من كثرة الشحم والدهن في ابدانها ومتى كثر الشحم والدهن قلّ الماء . ولا يشبه الغنم الاوربية في كثرة الدهن والشحم وقلة الماء الاَّ الغنم التي تعلَّف في سورية فان مجموع لحمها وشحمها ودهن اليتها يوازي اسمن الخرفان الاوربية

وفائدة الشحم والدهن توليد القوة والحرارة في الذين يأكلونهما ففي الغرام من الدهن او الشحم قوة لتوليد ٩ فيوخ (وحدات) من الحرارة وفي الغرام من اللحم الخبر ربع غرام من البروتين وهو يولد فيكاً واحداً من الحرارة وفي اللحم عدا الدهن والشحم والخبر مستخلصات طفيفة لا يزال امرها مطروحاً على بساط البحث

المواد المعدنية

واذا حُرق اللحم طارت كل المواد الالية التي فيهِ غازات وبقي منهُ شيء من الرماد وهذا الرماد هو المواد المعدنية التي في اللحم . وهو قليل قلما يزيد وزنهُ على واحد في المئة من وزن اللحم كما رأيت في الجدول السابق واكثرهُ في اللحم الاحمر وقلما يكون منهُ شيء في الدهن فاذا كان في قطعة من اللحم الف درهم من البروتين ففيها سبعة اعشار الدرهم من الكلس ودرهمان من اكسيد المغنيسيوم وعشرون درهماً من اكسيد البوتاسيوم واربعة دراهم من اكسيد الصوديوم و ٢٣ درهماً من اكسيد الفصفور الخامس ودرهمان من الكلور وتسعة دراهم من الكبريت ونحو سبعة دراهم من الحديد وهذه المواد المعدنية لازمة جداً في اللحم كما سيجيء

هضم اللحم

يهضم بروتين اللحم بسهولة في الغالب ويهضم منهُ ما يهضم من بروتين اللبن والبيض اي نحو ٩٧ الى ٩٨ في المئة والمرجح ان المستخلصات التي في اللحم تساعد على هضمهِ لانها اذا نُزعت قل ما يهضم منهُ وصار ٨٩ الى ٩٠ في المئة فقط ولذلك يهضم من بروتين اللحم الجديد اكثر مما يهضم من بروتين اللحم القديم والمقدد

وهضم الدهن يتوقف على مقدارهِ فاذا كان كثيراً قلّ ما يهضم منهُ . واذا كان قليلاً هضم اكثرهُ وقد يهضم منهُ حينئذٍ ٩٥ في المئة

ويختلف الزمن الذي يقيمهُ اللحم في المعدة حسب مقدارهِ ومضغهِ وطرق طبخهِ وما فيهِ

من اللحم . ولا اختلاف في ذلك بين انواع اللحم المختلفة او الاختلاف بينها قليل جداً لا يعتدُّ به

وخلاصات اللحم المشار اليها آنفاً تساعد على الهضم ولكن لا قيمة لها كمواد مغذية لقلتها ولذلك يحسن ان تضاف الى اللحم الذي تكون قليلة فيه

ومما اعني بسلق اللحم لشرب مرقه لا يكون في المرق اكثر من ١٣ في المئة من بروتين اللحم . والغالب ان لا يكون في المرق اكثر من ٢ في المئة من البروتين . ولذلك فقولهم « من فاتهُ اللحم فليشبع من المرق » خطأ لان المرق لا يُشبع ولا يقوم مقام اللحم . واسخف من ذلك ما جرت به عادة بعض المتأنقين من سلق اللحم والاكتفاء بمرقه وطرح اللحم للكلاب اعتقاداً ان كل قوته انضحت في المرق فالذين يشربون ذلك المرق ينالون عشر اللحم والكلاب تنال التسعة الاعشار

اما خلاصات اللحم التي تباع في السوق فلا تقتصر على مرق اللحم المكثَّف بل يكون فيها ايضاً من مسحوق اللحم اي من اللحم الذي جُفِّف وسُحق ومن المستخلصات المشار اليها آنفاً

قلنا في الجزء الماضي ان باعة اللحم عندنا يبيعونهُ بثمن واحد سواء كان من الفخذ او الكتف او الظهر او الصدر او الخاصرة . ولكن الفائدة الغذائية تختلف كثيراً باختلاف هذه القطع فاذا نظرنا الى ما في كل قطعة من البروتين وجب ان تكون القطع في اسفل الظهر فوق الكفل اغلاها وهي التي عددها ١٠ في صورة الثور المرسومة في مقتطف دسمبر الماضي ويليها لحم الاضلاع المدلول عليهِ بالرقم ٣ ثم لحم ارومة الفخذ المدلول عليها بالرقم ١٣ ثم لحم الكتف المدلول عليهِ بالرقم ٢ . ثم لحم الصدر المدلول عليهِ بالرقم ٨ ثم لحم المراق المدلول عليهِ بالرقم ١١ واخيراً لحم الساعد المدلول عليهِ بالرقم ٥ فاذا بيع الرطل من الكفل بواحد وار بعين مليماً وجب ان يباع الرطل من القطع الباقية بالاسعار المذكورة في الجدول التالي

ثمن الرطل من لحم		رقم ١٠	يساوي	٤١ مليماً
« « « «	الضلع	« ٣	«	« ٣٥ «
« « « «	اروسة الفخذ	« ١٣	«	« ٢٨ «
« « « «	الكتف	« ٢	«	« ٢١٫٥ «
« « « «	الصدر	« ٨	«	« ١٧٫٥ «
« « « «	الساعد	« ٥	«	« ١٧ «
« « « «	المراق	« ١١	«	« ١٦ «

والقطع المجاورة لهذه تجري مجراها في القيمة . وأكثر الاختلاف في القيمة ناشيء عن مقدار الدهن في كل قطعة من هذه القطع

مقام اللحم من الطعام

قلنا في الجزء الماضي ان متوسط ما يأكلهُ كل واحد من سكان الولايات المتحدة في السنة من اللحم ثمنهُ أكثر من اربعة جنيهات على رخص اللحم عندهم . وقد ظهر من احصاء ديوان الزراعة في الولايات المتحدة ان متوسط ما يأكلهُ النفس في السنة فيها وفي بعض الممالك الاوربية هو كما ترى في هذا الجدول

متوسط ما يأكلهُ النفس من اللحم في الولايات المتحدة سنويًا		١٧٩ رطلاً
. . . . .	بريطانيا العظمى .	١٢٣ .
. . . . .	المانيا .	٠٩٩ .
. . . . .	فرنسا .	٠٨٠ .
. . . . .	الدنمارك .	٠٧٦ .
. . . . .	البلجيك .	٠٧٠ .
. . . . .	اسوج ونروج .	٠٦٣ .

واذا حسبنا ان متوسط ثمن الرطل في القطر المصري غرشان ونصف غرش فمتوسط ما يأكلهُ النفس هنا في السنة عشرة ارطال لاغير او نحو عشر ما يأكلهُ النفس في اوربا ومع ذلك لا نرى السكان في اوربا فلاحهم ومدنيهم اجود صحة من سكان القطر المصري . ثم ان عدد الوفيات هنا أكثر منهُ في اوربا ولكن ذلك ناتج من كثرة وفيات الاطفال بسبب كثرة المواليد وقلة الاعتناء بالاطفال

ولا يخفى ان اهل البلاد الواحدة بل والمدينة الواحدة والبيت الواحد يختلفون كثيراً في مقدار ما يأكلهُ الواحد منهم من اللحم حسب غناهم او اذواقهم . والغالب ان اهل اليسار منهم يكثرون من اكل اللحم لانهُ طيب الطعم ومستحلصاتهُ تنبه عصارات الهضم . والفقراء يقلل اكلهم للحم امتلاء ثمنهِ لا لانهم يكرهون طعمهُ . والمرجح ان اكل اللحم يقوي الجسم ويزيد النشاط ويشحذ الاذهان ولكن اذا اكثر منهُ الذين لا يعملون اعمالاً بدنية شاقة ولا يرياضون اجسامهم كثيراً زاد تولد الحامض اليوريك في ابدانهم وما ينشأ عنهُ من الامراض وتعرضوا كذلك لاكل الاطعمة الفاسدة لان الاطعمة الحيوانية اشد تعرضاً للفساد من الاطعمة

النباتية وزد على ذلك ان الاطعمة اللحمية عرضة لتوليد الحوامض في الجسم فالذين يكثرون منها يكثر تولد الحوامض الى اجسامهم

فاللحم من الاطعمة المغذية جداً السهلة الهضم الطيبة الطعم ولكن ذلك لا يوجب الإكثار منهُ ولا يمنع ضرر هذا الاكثار لانهُ قد يضر ضرراً كبيراً وخير الامور الوسط . ومن المرجح عندنا ان اهل اليسار في هذا القطر يأكلون من اللحم اكثر مما تقضي بهِ الحكمة والفقراء لا يأكلون القدر الذي يلزم لتقوية اجسامهم وعقولهم . ومتى زاد الاغنياء عليهِ قللوا من اكل اللحم ومتى زاد الفقراء ثراء زادوا من اكلهِ فيعتدل الفريقان وخير الامور الوسط

علم الانسان

ANTHROPOLOGY.

الانثروبولوجيا علم الانسان من حيث كونهُ حيواناً اجتماعيًّا . او هي التاريخ الطبيعي للانسان باوسع معانيهِ اذ تبحث في علاقتهِ بالمجاورات ونشوئهِ وارتقائهِ وقبائلهِ المختلفة وما اشبه ذلك . فهي بعبارة اخرى تاريخ الانسان في كل زمان ومكان وجد فيهما من حيث نشوءُهُ وارتقاؤهُ حتى لقد سماها بعض العلماء بنت داروين يريدون بذلك انها اساس مذهبهِ او هي مذهبهُ بعينهِ . وخلاصة هذا المذهب كما هو مشهور ان انواع الاحياء وتنوعاتها المتعددة في هذه الدنيا مرتبط بعضها ببعض وان روابطها متجانسة الى حدٍّ يسمح بوضعها تحت ناموس واحد هو ناموس النشوء

وهذا البحث يشتمل على موضوعات شتى اخصها ما يأتي :

قِدَم الانسان . وشعوبهُ . وبيئتهُ . ولغاتهُ . وفرقهُ . وشرائعهُ . واديانهُ واخلاقهُ . والانسان من حيث كونهُ فرداً . فلنبحث في كلٍّ من هذه الموضوعات على حدتهِ

(١) قدم الانسان

التاريخ على ثلاثة اقسام . الاول ما اعتمد على الاخبار المكتوبة وهو التاريخ الحقيقي . والثاني ما اعتمد على الاساطير والتقاليد والسماع كاخبار الجاهلية عند العرب . والثالث ما اعتمد على الآثار الصماء وهو يتناول العصور التي عرفت باسم ما قبل التاريخ وعليها مدار كلامنا فنقول :

كان بعض العمّال يحفرون في حديقة حتى بلغوا عمق ٣٠ قدماً . فوجدوا ان سمك تربة الحديقة العادية ٥ اقدام فقط . وتحتها طبقة من الطحلب وجذور الاشجار البالية المتلبدة سمكها ٣ اقدام . فاستُدل من هذا على وجود امة في ذلك المكان قبل ابتداء العصر البرنزي . وهو العصر الذي كان فيه الانسان يستعمل البرنز (اي مزيج النحاس والقصدير الذي اطلق عليه العرب اسم القلز) سلاحاً له في الدفاع عن نفسه وعمل مساكنه واقتناص الحيوانات لطعامه وهذا العصر واقع بعد العصر الحجري وقبل الحديدي وتحت تلك الطبقة طبقة اخرى تكونت بالرسوب وفيها اصداف بحرية وسمكها قدمان او ثلاث . فاستُدل من ذلك على ان تلك الطبقة كانت مغمورة بماء البحر في العصور الخالية . وتحتها طبقة من بقايا الاشجار المتلبدة وفيها جذوع اشجار كبيرة وبقايا غابة لا بدَّ لها من ارض كثيرة التراب لتنمو وتزكو فيها . وسمك هذه الطبقة ٥ اقدام الى ٧ . ووجد في اللبد قطعة سلاح من الحجر المصقول وفي قعر اللبد شقفتان من الفخّار احداهما منقوشة بثقوب . فاستُدل من ذلك على ان سكان تلك الغابة من اهل العصر الحجري الحديث حينما كانت الادوات الحجرية او الصوانية اتقن مما كانت من قبلُ . وتحتها طبقة من الرواسب سمكها ٤ اقدام وفيها اصداف بحرية دلالة على ان البحر كان يغمرها وتحتها طبقة سمكها بين ٦ و ٨ اقدام وهي مكونة من الطفل او الصلصال الاصفر وقد دُفنت فيها قطع من الصخر المعروف مما يبرز الطوفانات الهائلة التي كانت تفيض في العصر الجليدي . وتحتها طبقة من الطفل الازرق سمكها ٣ او ٤ اقدام وهي الاخيرة اذ ليس تحتها الا الصخر . والدلائل تدل انها مكونة بفعل البحر وبالتالي على ان البحر كان يغمرها في عصر القدم

ترى مما تقدم ان معظم الطبقات المذكورة جيولوجية لا اثر للانسان فيها الا في مكان واحد حيث وجدت قطعة السلاح وشقفتا الفخّار . وفي اماكن اخرى كما في ضواحي اميان الفرنسوية وجد احد العلماء المنقبين ادوات واسلحة مختلفة الاشكال في ثماني طبقات من اثنتي عشرة طبقة

والباحثون في قِدَم الانسان قبل التاريخ يعتمدون في تقدير قِدَمه على ثلاثة اشياء : عظام الحيوانات التي توجد مع آثاره . والعظام البشرية . والادوات البشرية على اختلافها كما يتضح من الحادثة الآتية :

كان احد العلماء ينقّب عن آثار الاقدمين في كهف مشهور فحفر فيه الى عمق ٢٠ قدماً فعثر على موقد قديم اثافيهُ من الحجارة وآثار الرماد فيه . والى جانبه بقايا عرمة من

العظام المطروحة من الطعام . وكانت العظام باليةً الى حدٍّ لا تستطيع عندهُ عين غير الخبير ان تهتدي بها الى شيء من الاشياء او تستوضحها نباً من الانباء . ولكنها عُرضت على خبير فاخبر بانها بقايا حيوان قديم اعظم من الموث واشدّ مراسًا وهو الفيل فرس النهر ذا الصوف . وبقايا الرنّة وصنفين من الفرس احدهما الفرس البري الصغير الجسم الذي لا يزال موجوداً في صحارى منغوليا الصينية . وبقايا الثور البري والغزال

كذلك وجد في تلك العرمة ١٣ سنًّا بشرية لا تزال قوية مما دلّ على ان صاحبها لم يزد عمرهُ على الثلاثين عند موته او قتله . فقول ثلثهُ اذ لا يعقل ان تكون اسنانهُ واضراسهُ قد سقطت من نفسها فلا بدّ ان يكون قد قتل وطبخ وطبخهُ لا يكون الاَّ لاكلهِ مما يحمل على الظن ان سكان ذلك الكهف كانوا من اكلة لحوم البشر . وقد عُرضت هذه الاسنان والاضراس على خبير آخر فقال ان طول جذورها يدلّ على فكين هائلي القوّة وبالتالي على جمجمة اكبر من جمجمة الانسان الحالي بكثير وأقرب منها الى جماجم القرود . وهي الجمجمة التي سميت جمجمة « نياندرتل » وهو اسم البلاد التي وُجدت فيها . فذهب بعض العلماء وفي مقدمتهم هكسلي الى انها اقدم جمجمة معروفة لصنف من الناس سكن اوربا في العصور الخالية . واخصّ خصائصهِ كون رأسهِ مصمّتًا اي ان قطر الجمجمة من مقدم الجبين الى قفا الرأس اطول من قطرها بين الصدغين . وذهب فرخو وغيرهُ ان شكل هذه الجمجمة مرَضيّ اي ناشيء عن مرض أصاب صاحبها في حياتهِ . ولكن اكتشاف جمجمتين في البلجيك مثلها فيما بعد أيّد رأي هكسلي وهو رأي جمهور العلماء الآن

ووجد في هذه العرمة ايضًا كثير من السكاكين الصوانية وهي ذات طراز خاصّ بها . ومن رأي أحد الخبيرين انها من صنع الانسان الذي عاش في العصر الملقب « مُستيريان » نسبة الى « لمستيه » بلد في فرنسا حيث وجدت

قلنا فيما سلف ان العصور التي ما قبل التاريخ مقسومة ثلاثة اقسام : اولها واقدمها الحجري وهو ثلاثة ازمنة (١) الايوليثك اي الفجري . و(٢) البالبوليثك اي القديم . و (٣) النيوليثك اي الحديث . وهي ذات فروع لا محل لذكرها هنا . وثانيها النحاسي او البرنزي . وثالثها الحديدي واوائلهُ عند حدّ عصور الجاهلية العامة التي نعرف عنها ما نعرف بالتقليد والسماع كما تقدّم القول . ومن اصعب الصعاب معرفة قِدَم العصر الاول ولو على سبيل التخمين والتقدير اي تقدير الزمان الذي وُجد فيهِ انسان الايوليثك الذي عاش في فجر العصر الحجري . ولكن العلماء يكتفون بتقديرهِ بمئات الالوف من السنين غير جازمين بعدد تلك

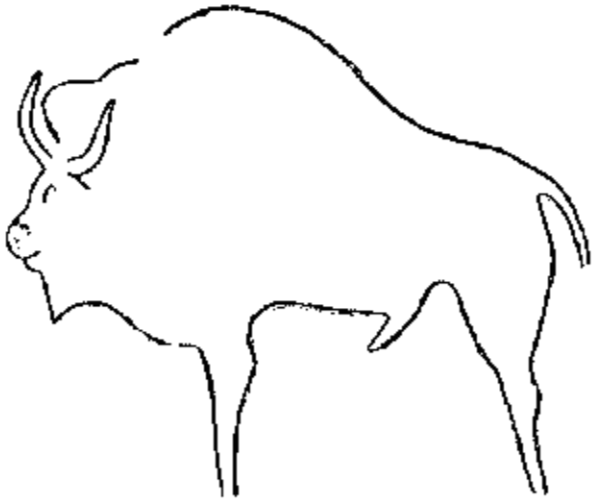

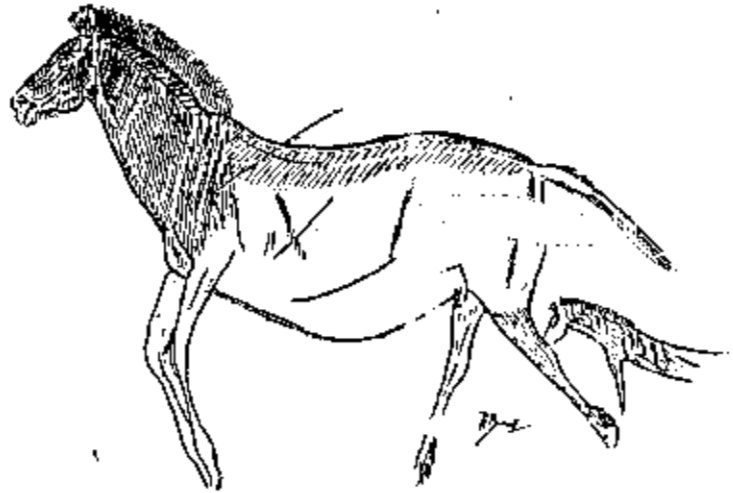

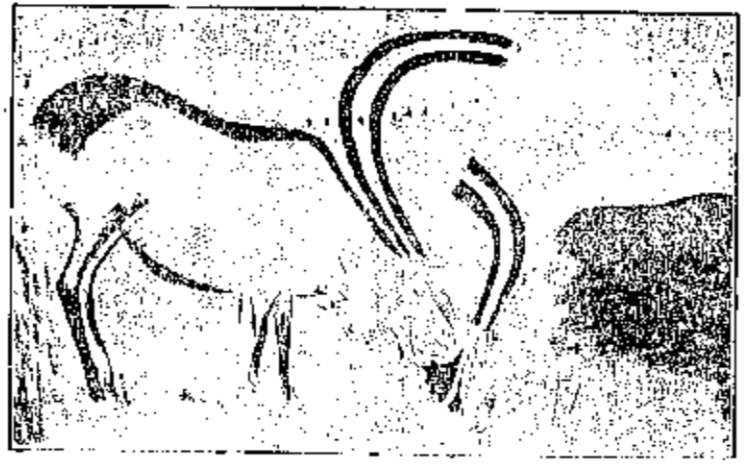

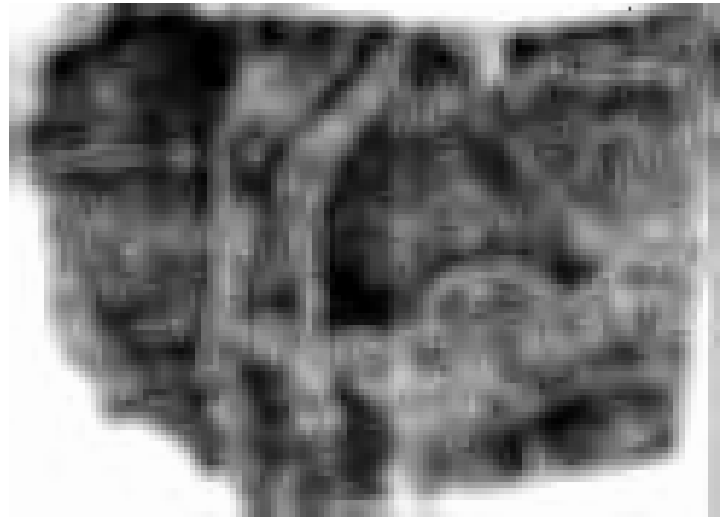

رسم فرس ومهرها وجاموس ورجل وعل وامرأة ملفاة اماهُ ورسم وعلين آخرين وكلها من رسوم الاقدمين قبل التاريخ

مقتطف يناير ١٩١٦ امام الصفحة ٤٥

المئات . ومن رأي السر راي لنكستر في مقالة من سلسلة مقالات علمية نشرتها الدايلي تلغراف ان اول عهد الانسان بالارض كان منذ مليون سنة على الاقل . ولو شئنا الاتيان على الطريقة التي توصل بها علماء البيولوجيا والجيولوجيا والفلك الى حسابهم وتقديرهم لما وسعنا المجال وخرجنا عن غرض هذه المقالة

وقبل ترك هذا الباب لا نرى بأساً من وصف بعض الكهوف والاغوار التي كان الانسان الحجري يسكنها والتي اهتدينا بها الى الحكم على هويته وماهية معيشته . وفي مقدمتها كهف « غرغاس » قرب افنتيان في جبال البيرنه العليا بفرنسا . وهو واقع في اكمة عالية وسط صخور وحجارة متفتتة تدل على انها من بقايا العصر الجليدي الذي استولى على تلك الاصقاع في الماضي . فاذا وصل قاصد الكهف الى بابه ودخله نزلت منه الى شبه قاعة واسعة واطئة السقف طولها نحو ٥٠ قدم وظلامها يكاد يلمس باليد . وعند باب الكهف بقايا موقد وفضلات عظام واسلحة صوانية ورماد . وهي تدل على ان سكان ذلك الكهف هم من الصنف الاورنياك نسبة الى بلدة اورلياك في فرنسا وقد عاشوا في فجر الدور الثالث من ادوار العصر الباليولثك (الحجري القديم اوالثاني) . والظاهر انهُ بعد اختفائهم وانقراضهم او مغادرتهم لذلك الكهف سدّتهُ الطبيعة وبقي مسدوداً حتى فُتح في عصرنا هذا

فاذا دخلنا الكهف لنشاهد ما فيه ومصابيحنا في ايدينا فاول ما نشاهده على جانبيه حفر صغيرة مستديرة لونها ابيض وعلى وجهها غشاء من الرواسب الكلسية حفظها هذه المدة الطويلة . وعلى ذلك الغشاء رسم كهوف كثيرة معظمها يُسريات مما يدل على ان اهل تلك الكهوف كانوا يستعملون ايديهم اليمنى مثلما فرسموا بها اكف ايديهم اليسرى على جدران الكهوف . وصبغوا ما بين الاصابع بالتراب الاسود او بالمغرة الحمراء (وهذه العادة شائعة بين اهل استراليا الاصليين حتى الآن ولا يعلم هل لهم غرض من ذلك سوى التسلية لانهم يتكتمون في الامر كل التكتم) . وكثير من الكهوف فاقد احدى الاصابع مما يدل على ان سكان تلك الكهوف كانوا يبترون احدى اصابعهم لغرض ديني او غيره . وكذلك يفعل اهل استراليا الاصليون وغيرهم من القبائل الهمجية الآن

وعلى الجدران ايضاً رسوم الحيوانات التي كان ساكنو الكهوف يقتنصونها لطعامهم وهي اشبه في سذاجة صنعها برسوم الصغار . فبينا ترى الواحد منهم يصور رأس الجاموس الذي صادهُ صورة جانبية تراهُ يرسم قرنيه كما لو كان ينظر اليه من الامام . ويصور قوائمهُ فاذا هي

تشبه شيئاً في مخيلته لا القوائم التي يراها بعينيه . وفي ارض الكهف حفرة عميقة فيها كثير من عظام الدببة التي ارت الى تلك الكهوف فسقطت في حفرتها

ومن تلك الكهوف كهف نيو في جبال البيرنه الصغيرة شرقي الكهف الاول . طولهُ نحو ميل والنصف الاول منهُ ممرٌ بالصخور والحجارة فاذا انتهيت منهُ انفرج الكهف امامك فرأيت بقعة فسيحة اتخذها سكان هذا الكهف قاعة لرسومهم وصورهم بعد ما اصبحوا احذق في فن الرسم من اسلافهم . فانهم صوروا الفرس بعرفهِ وذنبهِ المسدولين ووجههِ الجميل وصبغوهُ بالابيض والاسود وجعلوا طولهُ ٥ اقدام وليس فيهِ اثر للخشونة البتة بل ان هذه الصورة وغيرها من صور حيوانات العيد الاخرى التي صورت على جدران هذا الكهف وهي تزيد على الخمسين تدل على ان سكانهُ كانوا صُنَّع الايدي في فن الرسم والتصوير يتقنون تصوير ما يرونهُ ويلونونهُ

ثم انهم كانوا يستطيعون تصوير ما لا يرون ايضاً . فعلى الجدران نقط ورسوم واشكال في رموز لاشياء مجهولة وربما كانت ضرباً من الكتابة بالصور المعروفة بالمير وغليف

ومن الفروق بين اهل العصر الحجري القديم واهل العصر الحديث ان الثانين صقلوا ادواتهم الحجرية على الغالب واستعملوا الفخار وربوا المواشي وزرعوا الارض دون الاولين على ما يظهر من آثارهم . اما ان كان اهل العصر القديم قد استعملوا الفخار وربوا الماشية وحرثوا الارض فهذا امر لم تؤيدهُ الاكتشافات حتى الآن . فلا عجب والحالة هذه اذا رأينا الرجل الحجري القديم يندثر ويضمحل امام الجديد ويزول نجل الاصلح للبقاء محلهُ . على ان كيفية زواله لا تزال مجهولة عندنا . فهل سار في اثر الحيوانات القطبية التي كان يعتمد عليها في طعامهِ عند ارتحالها شمالاً بشرق ؟ ام اجتاحهُ سيل غزاة العصر الحديث من الجنوب ؟ ام اندمج الفريقان الواحد بالآخر تزوجاً ؟

وممَّا نعلمهُ عن الرجل الحجري الحديث الذي كان يقطن غربي اوربا انهُ كان صغير الجسم سود البشرة طويل الرأس ترك اثراً من لسانهِ في لغة الباسك الذين انتشروا في غرب اوربا وبلغوا انكلترا — وكانت قد صارت جزيرة حينئذٍ في الراجح — وتركوا من آثارهم التلال الصغيرة المستطيلة التي كانوا يقيمونها على قبورهم وهي غير التلال المستديرة التي كان اهل العصر النحاسي يقيمونها على القبور

وكما وجد الانسان في اوربا في ذلك العصر وجد في اسيا وافريقية فقد نشر في المجلد الثامن من المقتطف منذ احدى وثلاثين سنة خطبة للسر وليم دوسن الجيولوجي المشهور

القاها على مسمع منا في المدرسة الكلية السورية في بيروت وجاء فيها الكلام التالي

« واما في سورية فقد كشفوا آثار القدماء على عدوة نهر الكلب (قرب بيروت) فلا يخفى ان الذاهب الى نهر الكلب يرى بجانب الطريق التي فتحها الرومانيون نقوشاً وكتابات مختلفة نقشها رعمسيس ملك مصر وغيره من الذين قهروا هذه البلاد وابقوا تاريخهم منقوشاً على صفحات صخورها . والجيولوجيون يرون بالقرب منها آثار اناس عاشوا قبل اولئك فالطارين وبادوا وانطفأ خبرهم . وهؤلاء كانوا يسكنون مغراً قديمة هناك قد هدمها كرور الايام فذهب بالجانب الاكبر من سقوفها . ومنها مغارة كبيرة كشفها القانون ترسترم فوجد فيها عظاماً وغيرها . والظاهر انها كانت قديماً بارزة اكثر مما يُرى اليوم كما يستدل من وضع الرواسب الكلسية في ارضها . ويحتمل ان قسماً منها تهدَّم بعد ان فتح الرومانيون طريق نهر الكلب حيث قطعوا جانباً من رواسبها

الكلسية وجعلوه على حافة الطريق وقد دُحرج جانب آخر منها الى شاطئ البحر

وقد اكتشفت مغارة ثانية قرب انطلياس تهدَّم سقفها ورسبت الرواسب الكلسية في ارضها حتى تعالت فوقها اربع اقدام فاقتضى لهذه الرواسب زمان طويل حتى تراكمت وبلغت هذا السمك واعلمها لم تستغرق زماناً اطول مما بيننا وبين زمان رعمسيس لان هذه الرواسب قد تسمك كثيراً في زمان غير طويل فلا تطَّرد دلالتها على قدم الزمان (فقد اثبت العلاَّمة دُوكِنس وغيره ان الرواسب قد تبلغ ربع قيراط من السمك في السنة في بعض الكهوف ولا تبلغ ذلك السمك في سنين كثيرة في كهوف اخرى) وخلاصة ما يقال في هذا الشان ان الناس كانوا قديماً يسكنون كهوف هذه النواحي كالحور بين سكان الكهوف الذين طردهم الكنعانيون كما ذكر موسى الكليم . وقد فحص العلماء العظام التي وجدها ترسترم في مغارة نهر الكلب فحكموا انها عظام حيوانات لا تعيش اليوم في هذه النواحي بل في النواحي الشمالية الباردة وذلك يدلُّ على ان هواء هذه البلاد كان حينئذٍ ابرد من هوائها اليوم وان الناس الذين عاشوا في تلك الايام هم من اهل المدة التالية للعصر الجليدي . ولما كان البر في تلك المدة اكثر ارتفاعاً مما هو اليوم فلا يبعد انهُ كان امام الشَرَف المحاذي للبحر عند نهر الكلب سهلٌ متَّسع يفصل بينهما ثم غمرهُ الماء عند انخفاض البر في اواخر المدة التالية للعصر الجليدي فاضحى مكانهُ بحراً

واما مغارة انطلياس فأحدث عهداً من مغارة نهر الكلب على ما يظهر وعظام الحيوانات التي قد تحجرت رواسبها عليها تدلُّ على ان حيواناتها حديثة العهد وليست كحيوانات مغارة

نهر الكلب . وقد وجدتُ فيها اسنةً وسكاكين من الصوّان وعظاماً رميت عليها الرواسب وتحجّرت كما ترون (ثم اراها اياها واطلب بمهارة الذين صنعوها) وفي هذه البلاد كهوف كثيرة تحتوي عظاماً وظراناً بين رواسبها ولكنها لم تُعرَف حتى الآن لقلة من يبحث عنها . وهذه الرواسب حديثة بالنسبة الى ما يوجد تحتها من آثار القدماء ولكنها لا تزال اقدم من زمان الفينيقيين . والظاهر ان الناس كانوا يسكنون الكهوف في هذه البلاد قبل ان خسفت الارض خسوفها الثاني بعد العصر الجليدي فبادروا حين خُسفت بهم وطغى الماء عليهم ومنهم البقايا التي في مغارة نهر الكلب . ثم سكنها الذين يختلفون عنهم شعباً بعد ارتفاع البر من تحت الماء . وهذه الكهوف نوعان كهوف حفرتها السواقي ومجاري الماء في بطون الجبال ثم انفتحت لما تنافذ دونها فتركتها وتحولت الى تلك المنافذ . وكهوف نقرتها امواج البحر في الصخور ثم ارتفعت لما خسفت الارض بها بعد العصر الجليدي . والمرجّح ان مغارة نهر الكلب هي من هذا النوع الثاني . وتكثر الكهوف في جبل لبنان لسهولة نقرها فان هذا الجبل مؤلّف من صخور كلسية تكوّنت في اواخر الزمان الذي تكوّن فيه القسم الثالث من طبقات الارض (اواخر الدور الثاني) .

واما سبب سكن الناس فيها فيتضح من النظر الى كهف صغير قرب نهر الكلب امامهُ ارضٌ يسهل على الانسان ان يصل منها الى البحر وفوقهُ ارضٌ تناسب غرس الاشجار وهو في بقعة منفردة بحيث يأمن ساكنهُ اغتيال العدو ومفاجأة الضواري ويبيت مطمئن البال طيب الخاطر فلهذه الاسباب كان الناس يأوون قديمًا الى الكهوف »

الى ان قال :

« الاّ ان الادوات الحجرية التي وجدت في اوربا مثلاً لا يقطع منها بكون صانعيها اقل تمدُّنًا من الذين استعملوا الحديد بعدهم . ولا يصح ان يساووا بتوحشي هذه الايام ولو تساوت مصنوعات الفريقين لان متوحشي هذه الايام منحطون في الحضارة مع سهولة ارتقائهم فيها لو اقتدوا بالمتمدنين واما القدماء فلم يكن في زمانهم من يقتدون بهِ في الانسان فلا غرابة ان لم يتقدّموا الاّ رويداً . ويستدلُّ البعض من النقوش التي بقيت بعدهم انهم كانوا سليلة قوم متمدنين ثم انحطوا في التمدن حتى بلغوا حالة الخشونة التي وجدت آثارهم عليها . والله اعلم »

الرحالة ستيفنسن

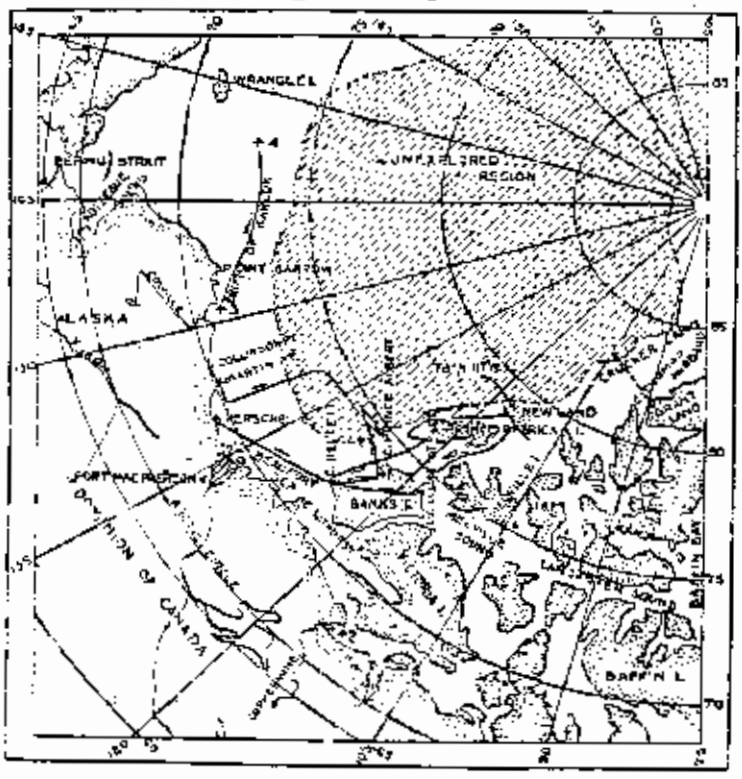

مقتطف يناير ١٩٠٦

امام الصفحة ٤٩

اكتشاف أرض جديدة

في دائرة القطب الشمالي

في اوائل سنة ١٩١٣ قام رحّالة نروجي الاصل كندي الجنسية اسمهُ ستيفنسن يجهز بعثة الى الاصقاع القطبية الشمالية بمساعدة حكومة كندا وبرعاية متحف التاريخ الطبيعي الاميركي والجمعية الجغرافية الوطنية في كندا . وكانت هذه البعثة هي الثالثة في بابها (الاولى سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧) والثانية سنة ١٩٠٨ — ١٩١٣) . فاعدّ لذلك سفينة كبيرة اسمها « كرلوك » وسفينتين اصغر منها واثاثاً وموُونة تكفي الحملة ٣ سنوات

وفي يونيو من السنة المذكورة اقلعت السفينة بهِ وبجماعتهِ من جنوب جزيرة فنكتوريا شمالي كندا في مكان على نحو الدرجة ٦٨ من العرض الشمالي (وعليهِ الرقم ٢ كما يرى في الشكل) . وكانت جماعتهُ مؤلفة من بضعة عشر رجلاً من الخبيرين بالعلوم والفنون اللازمة في الاسفار القطبية والمعتادين لمشاق تلك الاصقاع الباردة

واتفق ان صيف تلك السنة كان قصيراً فلم تستطع البعثة بلوغ بحر بوفور تلك السنة (انظر الخريطة) . والظاهر ان السفينة الكبرى كرلوك ابعدت عن الشاطئ كثيراً فاحاط بها الجليد وهي على بعد ١٨ ميلاً من الشاطئ . وكان ستيفنسن وخمسة من رجالهِ قد نزلوا الى البرّ يصطادون فثار نوء فصل الجليد العالق بالسفينة عما حولهُ فساقتها الرياح والامواج غرباً وبقيت على تلك الحال اربعة اشهر ثم غرقت في شهر يناير من سنة ١٩١٤ بعد نقل ما فيها الى الجليد

واختار ستيفنسن سبعة من رجالهِ ليتقدموا البعثة ويعدوا الطريق امامها ويكونوا بمثابة روّاد لها . فشخصوا الى جزيرة اسمها جزيرة هرالد تبعد عن مقر البعثة ٤٠ ميلاً ولكنهم لم يلبثوا ان رأوا ماء غير جامد فعاد ثلاثة منهم يخبرون بما رأوا وبقي اربعة يحرسون ما معهم من الزاد . وفي خلال ذلك خرجت جماعة اخرى مؤلفة من طبيب البعثة وعاملين من تلقائها في اثر الجماعة الاولى رغم نهي أخوانهم لهم عن ذلك . فهبت زوبعة ثلج شديدة ففقدوا هم والاربعة الذين بقوا يحرسون الزاد . اما بقية رجال البعثة فبلغوا جزيرة هرالد ثم جزيرة رنجل غربيها (انظر الخريطة) في ١٢ مارس . وفقد في اثناء ذلك اربعة رجال آخرون فبلغ عدد المفقودين كلهم ١١ رجلاً

اما ستيفنسن فعقد العزم على انفاذ خطته الاولى رغم غرق سفينته الكبرى . واغاثته الحكومة بازاد والمهمات وارسالها على سفينة لم تبلغ جزيرة هرشل الا في صيف السنة الماضية . وكان غرضهُ الاكبر اكتشاف ارض يقال انها واقعة شمالي الاسكا وسيبيريا في وسط الاوقيانوس المتجمد الشمالي . فقصدها من نقطة مارتن برفقة بعض زملائهِ . فلم يبعدوا عن الشاطئ الاَّ قليلاً حتى هبت عاصفة ثلجية استاقتهم شرقاً . وفي ٧ ابريل عاد رجال الحملة ادراجهم ولم يبق سوى ستيفنسن واثنين من رجالهِ فهؤلاء ساروا في سبيلهم غير هيابين وكان معهم مزلجة تجرها الكلاب و ١٣٠٠ رطل من الاثاث والزاد وبندقيتان و ٣٦٠ خرطوشة

وفي ٢٧ ابريل بلغوا نقطة على الدرجة ٧٣ من العرض الشمالي و ١٤٠ من الطول الغربي تبعد ٢٤٠ ميلاً عن قاعدتهم . ولما بلغوا الدرجة ٧٤ قلَّ ما معهم من الزاد والوقود كثيراً فقصدوا الزاوية الشمالية الغربية من (ارض او جزيرة) بنكس ولكنهم لم يستطيعوا التقدم بسبب الزوبعة فمكثوا حيث كانوا ينتظرون ركود الزوبعة وجمعوا صيداً كثيراً في خلال ذلك . وفي ٢٦ يونيو نزلوا على بعد ٣٠ ميلاً من راس البرنس البرت غربي ارض بنكس . وهناك انتظروا سفينة لنقل البعض من رجال البعثة ولما لم تصل سار هو ورفيقاهُ الى راس كليت حيث وجد سفينة اخرى لنقل بقية البعثة

فقضى الشتاء هناك وفي فبراير سنة ١٩١٥ سافر شمالاً فبلغ راس مكلنتوك في ١٥ يونيو . وبعد ذلك باربعة ايام وجد الارض الجديدة التي اكتشفها عند الدرجة ٧٨ من العرض الشمالي و ١١٧ من الطول الغربي (انظر الخريطة) . فسار حذاء ساحلها مسافة ١٠٠ ميل شرقاً واخذ ارصاداً كثيرة على بعد ٢٠ ميلاً الى الداخلية وعلى علو التي قدم فاستدل ان طول الارض التي اكتشفها ١٥٠ ميلاً على القليل

ثم عاد هو ومن معهُ في طريق شرقي جزيرة البرنس بتريك وقطع ارض بنكس من خليج مكلور الى قاعدتهِ في راس كليت حيث ينوي استئناف اعماله بعد اجتياز مسافة طولها ٧٠٠ ميل . وكانت اخبارهُ قد انقطعت بعد مغادرته نقطة مارتن حتى قطع العالم الرجاء منهُ واذا به قد ارسل في الخريف الماضي رسالتهُ من راس كليت فاحيا بها ميت الرجاء

ولاكتشاف الاراضي الجديدة في الاصقاع الشمالية والجنوبية فوائد علمية كثيرة في البحث عن مغنطيسية الارض وجيولوجيتها ونباتها وحيوانها . وقد يكون منهُ فوائد تجارية ولاسيما في الدائرة الشمالية ولكننا نرتاب في الحصول على فوائد مادية توازي ما ينفق لاجلها من الاموال ويموت في سبيلها من الرجال

دمعة

على فقيدة عزيزة

بنتاهُ قد نوّر زهرُ الرُّبى واورق الغصنُ الندي الرطيبْ
وفاح نفحُ الورد من كمّهِ وصاح في اغصانهِ العندليبْ
وألبست شمسُ الضحى الارضَ من حوكِ خيوطِ التبرِ بُرداً قشيبْ
والناسُ للنيروز قد بكّروا يشوقُهم روضُ الجنان الخصيبْ
وانتِ قد امسيتِ في حفرةٍ جاراكِ حولَيها غرابٌ وذيبْ
يا بئس ما جاورتِ من بعدما أنزلتِ متّا في سوادِ القلوبْ

∴

بنتاهُ ان تستيقظي في الدُّجى وتصرخي «بابا» وما من مُجيبْ
فلا تُراعي واهجعي ربثما تأتيكِ بشرى مقدمي عن قريبْ
ماذا عسى يجدي لدى الموتِ ان شقّت قلوبٌ قبل شق الجيوبْ
فهل يردُّ الميتَ تمديدُهُ ام يجلب السلوانَ فرط النحيبْ
طبيبُك الباشا ولكنهُ لم يدفع المقدارَ قدرُ الطبيبْ
خاتمةُ في الطبّ عقاقيرهُ وليس في العقّار سرّ غريبْ
يا عيدُ قد عدتَ بلا بهجةٍ وهل يسرُّ العيدُ قلبَ الكئيبْ
اليك عني لستَ لي صاحباً لا يصحبُ الأعبدَ حرٌّ نجيبْ

∴

بنتاهُ كم خلفتِ من حسرةٍ ترنُّ في قلبي وكم من وجيبْ
فان صفا بعدكِ لي موردٌ او غاض لي دمعٌ فامرٌ عجيبْ
في حولكِ الزاهرِ اوحشتنا يا كوكباً قد غاب قبل المغيبْ
لقد أضعنا فيكِ مكنونةً كنّا ذخرناها ليومٍ عصيبْ
يثمةٌ ما هذّبتها يدٌ ولا عرا جوهرَها ما يشوبْ
لستُ اماتيًّا فابكي على اللذاتِ راحت بعدها لا تؤوبْ
وانما ابكي لحرمانها عيشاً شجاها كالمُذاقِ الطروبْ
ليت الذي اعطاكِ لي منةً فسرّ قلبَ الجار قبل القريبْ

لم يعطِ كيلا يستردَّ الذي اعطى كما قد يستردُّ السليبْ
انّا لما اورثني نوعةً ابردُها النيرانُ ذاتُ اللهيبْ
فالبخلُ اجدى من جدًا نادمٍ والشكُّ أجلى من يقينٍ مريبْ
والموتُ مختارٌ على عيشةٍ من بعضِ ما فيها فراقُ الحبيبْ

***

ليس الردى في نفسهِ نكبةً يصحُّ ان يجزعَ منها اللبيبْ
وانما تعميمِ أعقابها فمن بَنى في صفرةٍ في شحوبْ
لو ان جسمَ الميتِ يبدو لنا قارورةً تنضحُ منها الطيوبْ
ووجههُ بدرٌ ومن حولهِ الـ ـهالاتُ تخفي ما بهِ من عيوبْ
لما علت في اثرهِ زفرةٌ ولا بكيناهُ بدمعٍ سكوبْ

***

قد كنت اخشى الموتَ من قبل أن رأيتها قد آذنت بالغروبْ
واحسب الخلدَ تمامَ المنى ومشتهى الناوي وهمَّ الأريبْ
فاليومَ لا اشتي من الخلد في عيني ولا اشهى لها من شؤبوبْ(١)
هذهِ تدنيني على هولها من راحلٍ اشملَ رأسي مشيبْ
وذاك يقصيني على حبّهِ عمّن مُقاسي بعدهُ لا يطيبْ
لو كان خلدٌ لا أرى وجهها فيهِ واهلاً بالحِمام المهيبْ

***

يا مصرُ اودعتك في فلذةً في سَبْسَبٍ ناءٍ وصقعٍ جديبْ
كوني لها ما كنتهُ وليقمْ من ودّك الغالي عليها رقيبْ
انا الغريبُ الدارِ وارحمْ وكلّ من دبّ عليها غريبْ
فبيننا في حالنا نسبةٌ فسائلي عنها وفيني عسيبْ(٢)

---

(١) اسم للغيث (٢) عسيب جبل دفن في سفح امرؤ القيس وامرأة قيله وفي هذا البيت والذي قبله اشارة الى ابيات قالها امرؤ القيس عند احتضاره وهي :

اجارتنا ان المخطوب تنوب وان مقيم ما اقام عسيبُ
اجارتنا انا غريبان هاهنا وكلّ غريب للغريب نسيبُ
فان تصليا فاقرآ مني بعضنا وان تهجرانا فالغريب غريبُ

يا بدر ان القبر في بقعة يحجبها وقد الضنا والحجوب
فلا تكن دونهما مسكاً ومر شعاع الانس ان لا تغيب
وانت يا قبر اتسع للتي ضاقت لك ولجدد ذاك الكثيب
ما أعيت الاجساد لحداً ولا الارواح هذاك الفضاء الرحيب

***

ويوم سويناه[1] عليها استوى قلبي الى عرش القضاء المهيب
ناجيت ربي قائلاً ما جلى عبدك حتى ساورته الكروب
فقال ثق عبدي فان الذي أحبه أخلصه بالخطوب
انظر الى ايوب في كربه واصبر كايوب واني المثيب
آمنت بالله وآياته ما خاب ملهوف اليه يثيب
قد كان ما قد كنت اخشى فقل انا الى الله الكريم الأيوب[2]

نجيب شاهين

اليزيدية

وبحث في منشإ معتقدهم

اليزيدية طائفة من الاكراد يسكن اكثرهم في جهات الموصل وولاية أرزان الروسية ومنهم طوائف في نواحي دمشق وبغداد وحلب . وهم من أغرب طوائف المبتدعة يدعة يدينون بعبادة الشيطان ويقولون بالتناسخ ولهم في كتم نحلتهم والاحتفاظ باسرارها مبالغة شديدة طوت امرهم عن الناس زمناً حتى أتيح لبعض من خالطهم من روّاد الافرنج وغيرهم كشف القناع عن كثير من دخائلهم وان كان وقع في عباراتهم ما لا بدّ من وقوعه في كل امر يحاط بالخفاء والكتمان

واوّل مجلة عربية تصدّت لهذا البحث فيما نعلم مجلة المقتطف في فصل نشرته في ج ١٣ ص ٣٩٣ ملخّصاً مما حققّهُ عنهم الاستاذ بروسكي بعد ما ثوى فيهم وعاشرهم دهراً . ثم كتب العلاّمة اليازجي في مجلد ١ ص ٧٠٥ من ضيائه فصلاً آخر لا يخرج في جوهره عمّا في المقتطف وان باينهُ في بعض المواضع بشيء من الاختلاف والزيادة والنقصان

(١) اي دفناها وسهدنا الناس على قبرها (٢) الرجوع

ونشر الاب انستاس الكرملي مقالة مسهبة عنهم في مجلد ٢ من المشرق لم يترك فيها غاية لمستقص او مجالاً لقائل . ثم عثر عيسى افندي يوسف في الموصل على نسخة مخطوطة باللغة العربية من كتابيهم الجلوة ومصحف رش فنشرها بنصّهما في مجلة اللغات والآداب السامية باميركا سنة ١٩٠٩ م مع الترجمة الانكليزية . وعثر احد علماء المشرقيات في الفما على نسخة منهما بالعربية والكردية فطبعهما بالنصّين والترجمة الفرنسوية في فينا سنة ١٩١٣ فازداد امرهم بطبعهما جلاءً ووضوحاً وأميط اللثام عمّا تضارب فيهم من الاقوال في المقالات الثلاث المتقدم ذكرها

غير ان القول في منشإ هذه النحلة واوّل مبتدع لها وما تطوّرت فيه بعد ذلك من الاطوار لم يزل غامضاً ملتبساً وكل ما اوردوهُ عنها في ذلك جاء مضطرباً مبتوراً لا يصدر عنهُ الباحث بشيء وهو ما قصدنا البحث فيهِ في هذه المقالة بعد ان نلخّص من عقائدهم ما يتوقف عليهِ اطّراد البحث ونمثّل للقارىء صورة مجملة منهم

ملخّص عقيدتهم

للقوم كتابان كما ذكرنا احدهما كتاب الجلوة وهو يتضمن ما خاطب بهِ الباري تعالى خلقهُ والمقصود بهم اليزيديّة وكلاماً في قدمهِ تعالى وبقائهِ وقدرتهِ ووعدهِ ووعيدهِ وذكر القول بتناسخ الارواح وفيهِ ان الكتب التي بايدي الخارجين أي اهل الاديان المعروفة ليست كما أُنزلت بل بدّلوا فيها وحرّفوا فما وافق منها سنن اليزيدية فهو المقبول وما غايرها فمن تبديلهم

والثاني مصحف رش أي الكتاب الاسود وفيهِ حديث خلق السموات والارض وما فيها من بحار وجبال واشجار وخلق الملائكة والعرش وآدم وحوّاء وارسال الشيخ عادي بن مسافر من الشام الى لالش وما كان من نزول طاووس ملك (اي الشيطان) الى الارض واقامتهِ ملوكاً لليزيدية ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والعجم لهم . وفيهِ ان كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحوّاء واما شيث ونوح وأنوش وهم آباء اليزيدية الاوّلون فمن نسل آدم فقط واصلهم من توأمين ذكر وأنثى ولدهما باحدى الخوارق . وان طوفانًا أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح مضى عليهِ الآن سبعة آلاف سنة في كل الف سنة منهما ينزل لهُ من السماء يشرّع لهم الشرائع ويسنّ السنن ومن هؤلاء الآلهة السبعة يزيد الذي ينتسبون اليهِ اما رئيسهم واوّلهم فالشيطان المعبَّر عنهُ عندهم بطاووس ملك ومرتبة هؤلاء الآلهة دون مرتبة الاله الاعظم الواحد القهّار الفعّال لما يريد

وفيهِ ايضاً شرائعهم وما أحلَّ لهم وما حرَّم عليهم في الزواج وغيره وشرع امر الطواف بمناجقهم في البلدان والقرى بجمع الصدقات وزيارتهم لقبر الشيخ عادي وما يفعلونهُ في عيد رأس السنة من قطف النَّوْر الاحمر وذبح الذبائح واطعام الفقراء وزيارة القبور . وفي كلا الكتابين من التلفيق والخبط والخلط ما فيهِ وتمتاز النسخة النسوية بوجود النصّ الكرديّ فيها . وتختلف عنها الاميركية ببعض زيادات وتقديم وتأخير في العبارات وفيها فوق ذلك ملحق فيهِ ما ليس في الكتابين من شرائعهم واحوالهم وكرامات اوليائهم وتفصيل مراتب امرائهم وشيوخهم وأغنيةٍ مختلَّة الوزن والتركيب في مدح الشيخ عادي وأخرى مثلها تتلى في صلاتهم وصورة المحضر الذي كتبوهُ لما أرادت الدولة العثمانية تجنيدهم وقد ذكروا فيهِ السبب الديني المانع لهم من مخالطة غيرهم

يزيد الذي ينتسبون اليهِ

جاء في كتب الملل والنحل ذكرُ لفرقةٍ من الاباضيَّة يدعون باليزيدية وهم اتباع رجل من الخوارج اسمهُ يزيد بن ابي أُنيسة وهو غير المحدّث المشهور كان بالبصرة ثم انتقل الى ارض فارس وكان من زعمهِ ان الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم و ينزل عليهِ كتاباً جملة واحدة ينسخ بهِ الشريعة الاسلامية و يكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط . فذهب الاب انستاس والعلاّمة اليازجيّ الى أنَّ يزيديّة اليوم هم من بقيَّة هذه الفرقة وجنحا لهذا الرأي لاتحاد الفرقتين في النسبة ووجود كتاب مزعوم تنزيلهُ . اما نحن فلا نرى هذا الرأي ولا نجد علاقة ما بين هذه وتلك بل رأينا انَّ اتباع ابن ابي أُنيسة انقرضوا فيما انقرض من الفرق العديدة التي لا وجود لها الآن وعندنا ان نسبة يزيدية اليوم انما هي ليزيد بن معاوية على التحقيق كما يدَّعون هم ولكن لا على ما لفَّقوهُ من المزاعم بل لما سنوردهُ عليك بعد

وزعمهم هم في يزيد على ما جاء في مصحف رش انَّ معاوية اباهُ كان خادماً لنبيّ الاسماعيليين اي نبيّنا عليهِ الصلاة والسلام وحلق رأسهُ يوماً فجرحهُ واكبَّ على الدم فلحسهُ بلسانهِ لئلاَّ يسيل على الارض فقال لهُ النبيّ اخطأت وستكون ذريّتك اعداء لأمتي فاهدهُ على ان لا يتزوج ابداً ولم يكن لهُ بنون من قبل ولكنَّ الله سلَّط عليهِ عقارب لدغتهُ في وجههِ وجزم الاطباء بموتهِ ان لم يتزوّج فتزوّج امرأة في الثانين ليأمن حملها فلما اصبحت اذا اذا هي ابنة خمس وعشرين فحملت وولدت يزيد احد آلهتهم السبعة

وفي (المجلد ٣) من مجلة لغة العرب التي كانت تصدر في بغداد مقالة عن الاكراد للكاتب الفاضل شكري افندي الفضلي تعرّض فيها في (ص ٣٠٩) لليزيدية بكلام مختصر ذهب فيه الى انهم من المجوس الداسنيين هجروا حاضرتهم القديمة يزد وسكنوا داسن فقيل لهم اليزديون ثم صحفتهُ العامة وقالت يزيديون . وقد عقّب عليهِ صاحب المجلة بانهم غير الداسنيين وان لا علاقة لهم بيزد في كلام لا يبقي للشك مجالاً

الشيخ عادي

للشيخ عادي مقام غير منكور عند اليزيدية وقبرهُ اليوم كعبتهم التي يحجون اليها وشيخهم الاعظم سادن مقامهِ ولهم فيهِ مزاعم في مصحف رش منها ان الله تعالى ارسلهُ من ارض الشام الى لالش ومفهوم العبارة ان ذلك كان قبل خلق آدم وهو من الخلط الذي لا تخلو منهُ عباراتهم

وفيهِ انهم عند ارسال الناجق الى القرى لجمع الصدقات يخرجونها من عند قبره باحتفال عظيم ورقص وغناء وزمر وتقر على الدفوف والطبول ويحجون من ترابهِ بنادق (كرات صغيرة) تحمل مع الناجق فتفرّق في القرى للتبرّك بها . وعند عقد الزواج يأتون برغيف من دار شيخهم يتقاسمهُ العروسان فان لم يوجد اكتفيا بسفّ شيء من تراب الشيخ عادي . وفي الزوائد الحقة بالنسخة الاميركية انّ من يموت منهم يجب ان يحضرهُ شيخ من شيوخهم الذين في طبقة (الكوجك) ليضع في فيهِ شيئاً من هذا التراب قبل دفنهِ وفيها ايضاً تفصيل مناسكهم عند زيارتهِ وانها مفضّلة عندهم على حجّ البيت الحرام مع التصريح بانهُ مبتدع ملّتهم ومرشدهم الاوّل الى طريقها

وفي النسخة الاميركية ايضاً نبذة عن الشيخ عادي وردت قبل كتاب الجلوة كمقدمة لهُ نثبتها هنا دليلاً على مبلغ جهلهم بالتاريخ وخلطهم بين الازمان المتفارقة ونموذجاً لما في كتابهم من فساد التركيب وسوء التعبير وهي بنصها « في زمان المقتدر بالله سنة مائتين وتسعين هجرية كان منصور الحلاّج وشيخ عبد القادر الكيلاني في ذلك الوقت ظهر انسان اسمهُ الشيخ عادي من جبال الحكّارية (١) اصلهُ من اطراف حلب او من بعلبك جاء وسكن جبل لالش قريب مدينة الموصل نحو تسع ساعات والبعض قالوا انهُ من اهل حرّان ونسبتهُ الى مروان بن الحكم فانهُ شرف الدين ابو الفضائل عادي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان وكان وفاتهُ سنة خمسمائة وثمانية وخمسين هاجرية وقبره يزار

(١) الصواب الهكارية

الآن قرب قرية باعذرى[1] من قرى الموصل تبعد عنها احدى عشرة ساعة واليزيدية هم نسل الذين كانوا مريدين عند الشيخ عادي المذكور والبعض منهم ينسبون الى يزيد ومنهم الى حسن البصري » انتهى

ولا بدَّ لنا قبل الشروع في التعريف بهذا الشيخ من تصحيح اسمه فانهُ ورد في كتابيهم مرسوماً بزيادة الف بعد العين كما رسمناهُ فيما تقدَّم متابعة لهم وبهِ ورد ايضاً في مقالتي المقتطف والمشرق واوردهُ العلاَّمة اليازجي في الضيآء بلفظ الشيخ الهادي وعلق عليهِ في الحاشية بما نصهُ « الذي في الاصل السرياني الشيخ ادى وكذلك هو في النقل الفرنسوي ولعل لفظهُ الصحيح عدي الاَّ اننا رأينا بولياي رواه يزيادة هآء في اوله كما اثبتناهُ فيما نقلناهُ عنهُ قريباً وهو الذي اعتمدناهُ في سائر المقالة توحيداً للتسمية » انتهى . قلنا والذي ذهب اليهِ ظننا في تصحيح لفظهُ هو الصواب

وفي مقالة المشرق ذكرٌ لاسطورة رواها رجلان من اليزيدية مصرّح في آخرها بان لفظة عادى محوّل عن آدى وخلاصتها ان مزار الشيخ كان في الاصل ديراً للنساطرة بني على اسم القديس آدّى او آدى ثم تفرَّق رهبانهُ باغواء طاووس ملك لهم ودانوا باليزيدية وظهر في ابان ذلك الشيخ عادي بدعوتهِ وانبأ تلاميذهُ بامر الرهبان قبل وقوعهِ واوصاهم بدفنهِ في مكان المذبح الاعظم بالبيعة بعد هدمهِ ففعلوا بوصيتهِ وصاروا يحجون الى قبره كل سنة وحوَّلوا اسم آدي الى عادي . قلنا القول بهذا التحويل ظاهر البطلان لما سيأتي ولعل كاتب المقالة الفاضل كان متوقفاً فيهِ او فيما ورد عن اصل المزار ايضاً فانهُ ختم العبارة بقولهِ (فتأمل)

والصواب انهُ الشيخ عَدي بن مسافر[2] احد صوفية زمنهِ ومعتقديهم ترجمهُ ابن خلكان في الوفيات فقال فيهِ « الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان كذا اولى نسبهُ بعض ذوي قرابتهِ الهكاري سكناً العبد الصالح المشهور الذي تنسب اليهِ الطائفة العدوية » انتهى . وذكر ابن الوردي نسبتهُ في تاريخهِ على ما هو وارد هنا وزاد فيهِ بعد مروان الاخير « ابن الحكم بن مروان الاموي » . قال ابن خلكان « صار ذكرهُ في الآفاق وتبعهُ خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيهِ الحدّ حتى جعلوهُ قبلتهم

(١) اوردها ياقوت في معجمهِ بلفظ باعذرا بالذال المعجمة وقال عنها انها من قرى الموصل

(٢) نسبهُ هنا الى جدّهِ مسافر اما ابوهُ فاسمهُ صخر كما سيأتي في ترجمة الشيخ حسن

التي يصلّون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها . وكان قد صحب جماعة كثيرة من اعيان المشايخ والصلحاء المشاهير مثل عقيل المنجي[1] وحمّاد الدباس وابي النجيب عبد القادر السهروردي[2] وعبد القادر الجيلي وابي الوفاء الحلواني ثم انقطع الى جبل الهكّارية من اعمال الموصل وبنى له هناك زاوية ومال اليه اهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لارباب الزوايا مثله . وكان مولده في قرية بقال لها بيت قار من اعمال بعلبك والبيت الذي ولد فيه يزار الى الآن وتوفي سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة في بلدة بالهكّارية ودفن بزاويته رحمهُ الله تعالى . وقبرهُ عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة وحفدتهُ الى الآن يوطّدونه يقيمون شعارهُ ويقتفون آثارهُ والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة وذكرهُ ابو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربل وعدّهُ من جملة الواردين على اربل . وكان مظفّر الدين صاحب اربل رحمهُ الله تعالى يقول رأيت الشيخ عديّ بن مسافر وانا صغير بالموصل وهو شيخ ربعة اسمر اللون وكان يحكي عنهُ صلاحاً كثيراً وعاش الشيخ عديّ تسعين سنة رحمهُ الله تعالى » انتهى بنصّهِ

وترجمهُ الشيخ الشعراني في طبقاتهِ الكبرى المسماة بلواقح الانوار وفي طبقاتهِ الوسطى ايضاً فاثنى عليه في كتابيها ثناء جمًّا وذكر انهُ اقام في اول امرهِ زماناً في المغارات والجبال والصحارى مجرداً سائحاً يأخذ نفسهُ بانواع المجاهدات قال وهو اوّل من قصد بالزيارات وتربة المريدين الصادقين ببلاد المشرق وقصدهُ الناس من سائر الاقطار . ثم نقل شيئاً من مأثور كلامهِ في التصوّف وذكر لهُ كرامات وخوارق الى ان قال سكن رضي الله تعالى عنهُ جبل الهكّار واستوطن بالس الى ان مات بها سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن بزاويتهِ المنسوبة اليهِ وقبرهُ بها ظاهر يزار

وذكر ابن الاثير وابو الفداء ان وفاتهُ كانت في المحرّم سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتابعهما في ذلك ابن الوردي الاّ انهُ نقل ايضاً عن كتاب بهجة الاسرار لنور الدين البلخي انها كانت سنة ثمان وخمسين وان اصلهُ من حوران واطنب ابن الوردي فيهِ وفي وصف زهده وتقشّفهِ وكراماتهِ في كلام نقل اغلبهُ الشعراني في طبقاتهِ . وفي مختصر تاريخ الاسلام للذهبي في حوادث سنة ٥٥٧ ما نصهُ « وفيها مات شيخ العارفين عديّ بن مسافر الهكّاري الزاهد وقد قارب التسعين »

---

(١) و (٢) في الاصل المغي والشهرزوري وكلاهما تحريف

وبالس التي ذكرها الشعراني بلدة بالشام بين حلب والرقة على ما في معجم ياقوت فليست هي بلدة الشيخ عدي التي سكنها ودفن بها بالفكارية . والذي في طبقاته اوسطى لا كش بلام فالف فكاف وكلاهما فيما ظهر لنا محرّف عن لالش وهي الواردة في النصين العربي والكردي من مصحف رش الاّ انها وردت في بعض المواضع من النص الكردي بلفظ لايش بالمثناة التحتية بدل اللام وبه وردت في مقالة المقتطف ايضاً والمرجح انها بلامين وهي التي ذكرها ياقوت في معجمه بلفظ ليلش وقال عنها قرية في التحف من اعمال شرقي الموصل منها الشيخ عدي بن مسافر الشافعي شيخ الاكراد وامامهم وولده

ومن ترجم الشيخ عدي ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في وفيات سنة ٥٥٧ ه فاثنى عليه ثناء من ترجمه قبله وذكر تجاوز اصحابه الحدّ في اعتقادهم به حتى زعموا انهُ اذا ذكر على الاسد وقف او على البحر سكن والى ذلك اشار الشيخ الصدّيق بن محمد المقري المعروف والده بالمدوخ في وسيلته الجامعة بقوله :

بجاه عدي ذلك ابن مسافر به تسكن الامواج في لجج البحر
وان قلته للّيث لم يخط خطوة ولا الشبر من قاع ولا القاع من شبر

هذا ما ظفرنا به من ترجمته وهو عندنا اصل الطريقة اليزيدية واول مكوّن لهذه الطائفة على ما أدّانا اليه البحث

الشيخ حسن

ذكر اسمهُ في مصحف رش على انهُ ثاني الالهة السبعة ويسمّى ايضاً درداييل وورد في الزيادات الملحقة منعوتاً بالبصري وأنّ لهُ قبّة في القباب التي حول قبر الشيخ عدي ومن نسلهِ شيخهم الاعظم . ولا ندري اهما رجل واحد ام اثنان عندهم وقد بحثنا في كتب التراجم عن مسمّى بهذا الاسم لهُ علاقة بهم فاهتدينا إلى اثنين احدهما من آل عدي بن مسافر وكان احد خلفائهِ عليهم وفي زمنهِ دبّ الفساد والزيغ فيهم وهو غير منسوب للبصرة والثاني منسوب اليها ولكن ليس في ترجمتهِ دلالة على صلة لهُ بهم سوى الاتحاد في الاسم والنسبة والولادة بالموصل

وللاول ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر قال فيها عن نسبهِ « الحسن بن عدي بن ابي البركات بن صخر بن مسافر الملقّب بتاج العارفين شمس الدين ابو محمد شيخ الاكراد وجدّه ابو البركات هو اخو الشيخ عدي » . وقد تقدّم في نسب الشيخ عدي انهُ عدي بن مسافر بن اسماعيل الخ وعليهِ لا يصح ان يكون ابو البركات جدّاً لهُ بل يكون ابناً لاخيهِ

والصواب ان جميع من ترجموا الشيخ عديًّا اسقطوا اسم ابيهِ ونسبوهُ لجدّهِ مسافر لشهرتهِ فقد جاء في مادة (هكر) من شرح القاموس في الكلام على الهكارية ما نصهُ « واليها ينسب الوليّ المشهور ابو المفاخر عديّ بن صخر بن مسافر الاموي المكاري » وبهِ يصحّح ما في فوات الوفيات

ثم قال ابن شاكر « وكان شمس الدين من رجال العالم رأيًا ودهاء ولهُ فضل وادب وشعر وتصانيف في التصوّف ولهُ اتباع ومريدون يبالغون فيهِ قال الشيخ شمس الدين الذهبيّ وبينهُ وبين الشيخ عديّ من الفرق كما بين القدم والفرق وقد بلغ من تعظيم العدوية لهُ انهُ قدم عليهِ واعظ فوعظهُ حتى رقّ قلبهُ وبكى وغشي عليهِ فوثب الاكراد على الواعظ فذبحوهُ ثم افاق الشيخ حسن فرآهُ يتشحّط في دمهِ فقال ما هذا فقالوا لهُ ايش هذا الكلب حتى يبكي سيدنا الشيخ فسكت حفظًا لدستهِ وحرمتهِ . وخاف منهُ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليهِ وحبسهُ ثم خنقهُ بوتر في قلعة الموصل خوفًا من الاكراد لانهم كانوا يشنّون الغارات على بلادهِ فخشي ان يأمرهم بادنى اشارة فيجتاحوا بلاد الموصل . وفي الاكراد طوائف الى الآن يعتقدون ان الشيخ لا بدّ ان يرجع وقد تجمّعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجهُ وما يعتقدون انهُ قتل . وكانت قتلتهُ سنة اربع واربعين وستمائة ولهُ من العمر ثلاث وخمسون سنة »

وترجمهُ ايضًا ابن العماد الحنبليّ في شذرات الذهب وساق نسبهُ كما هنا اي بزيادة صخر بعد عديّ الاكبر ونعتهُ بشيخ العدوية الاكراد وذكر عنهُ ما ذكرهُ ابن شاكر ثم اورد عبارة للذهبيّ عدّد لهُ ولجماعتهِ فيها منكرات وختمها بما معناهُ (إن كان هذا طريق الجنة فأين اذن طريق النار)

اما الثاني على فرض انهُ غيرهُ فقد جاء في المنهل الصافي لابن تغرى بردي عن رجل يلقّب بحسن البصريّ ما نصهُ « جعفر بن عليّ بن جعفر بن الرشيد الشيخ المسنّد المعمّر شرف الدين الموصليّ المقري المعروف بالحسن البصريّ . مولدهُ بالموصل في سنة اربع وستمائة وكانّ شيخًا فاضلاً عارفًا حافظة للاخبار والشعر والادب ذكرهُ الحافظ علم الدين البرزاليّ وقال سمع من السهروردي كتاب العوارف بالموصل وسمع بدمشق من ابن الربيديّ وبمصر من ابن الجميزيّ وبالثغر من ابن رواح وتوفي بدمشق سنة ثمان وتسعين وستمائة رحمهُ الله . قلت وصاحب الترجمة يلتبس على من لا يعرف التاريخ بالحسن البصريّ التابعيّ المشهور المتوفى سنة عشر ومائة » انتهى . وليس فيهِ ما يدلّ على علاقة لهُ بهم

منشأ نحلتهم وتكوين طائفتهم

لا يخفى ان الغالب في كثير من الاديان والمذاهب ان يطرأ عليها التغيير والتبديل بعد ذهاب الداعين اليها إما بالابتداع فيها او بتغيير النصوص او بتأويلها على حسب ما توحيه الآراء وتزينهُ الاهواء . والشواهد على ذلك كثيرة تكاد لظهورها تُحس وتشترك الايدي باللمس غير ان التغيير يختلف قلة وكثرة تبعاً لاميال المبتدعين على المذهب واغراضهم واستعداد نفوس متبعيهم . وهو عين ما طرأ على مذهب اليزيدية فانهم لم يكونوا في مبدإ امرهم سوى طائفة من الصوفية لهم طريق خاص كالحال في سائر طوائف القوم غير انهم غلوا في شيخهم عدي تجاوز الحد ادّى الى قولهم فيهِ بما لا يوافق شرعاً ولا عقلاً ثم قام فيهم رؤساء في السوء الطالبون للحطام من طريق الرئاسة فتوسعوا في مذهبهم وادخلوا فيهِ ما اقتضتهُ مصلحتهم ووافق اهواءهم وما زالوا ينقصون منهُ ويزيدون قرناً بعد قرن حتى خرجوا من الاسلام جملة

ولم يكن لهذه الطائفة وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس الهجري حتى اشتهر الشيخ عدي بن مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة وتسامع بهِ الناس فقصدوهُ من الاطراف للاسترشاد ثم انتقل الى جبال هكار موطن الاكراد فتبعهُ منهم خلق كثير اتخذ منهم التلاميذ واحدث الطريقة العدوية كما مرّ بك في اخباره . ولم يكن على شيء مريب في طريقتهِ والاّ لما اثنى عليهِ كل من كتب عنهُ . وحسبك ان الامام ابن تيمية المشهور بشدّتهِ في الدين لم يذكرهُ الاّ بالخير في رسالة لهُ سيأتي شيء منها . وانما بدأ فيهم الزيغ بعد موتهِ في رئاسة الشيخ حسن ابن اخيهِ عليهم او قبلهُ بقليل ولقد تقدم انهُ كان لا يهتمّ الاّ بحفظ ناموسهِ مع الطرائق على منكرات اخذها عليهِ الذهبيّ . ولما فشا فيهم الانحراف وشاع عنهم كتب لهم ابن تيمية رسالتهُ العدوية التي اشرنا اليها وهي طويلة يناهم على النصح والارشاد الى طريق السنّة والحضّ على التمسك بها وتحرّض فيها لما كانوا عليهِ في زمنهِ فحذّرهم من البدع والغلوّ في المشايخ كما غلوا في الشيخ عديّ ومن قولهِ في هذا الصدد . وفي زمن الشيخ حسن زادوا اشياء باطلة نظماً ونثراً وغلوا في الشيخ عديّ وفي يزيد باشياء مخالفة لما كان عليهِ الشيخ عديّ الكبير قدّس الله روحهُ فانّ طريقتهُ كانت سليمة لم يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسناً وجرت فتن لا يحبّها الله ولا رسولهُ »

فيتضح من هذا ومما تقدمهُ أصل منشإ هذه الطائفة وانها كانت تسمّى في مبدإ الامر

بالعدوية نسبة لشيخها اما تسميتها بعد ذلك باليزيدية فلم تقف على زمنها والظاهر انها حدثت في القرون الاخيرة ولعل موالاة البحث تكشفها فيما بعد

منشأ اعتقادهم في يزيد

تولّى يزيد بن معاوية الخلافة على كراهة من كثير من المسلمين ثم وقعت في ملكه كوائن كقتل الامام الحسين والعدوان على اهل المدينة ونقلت عنهُ أمور من الاستهانة بالدين والاشتهار بالشراب اكثرت فيهِ القال والقيل وتسبّب عن ذلك تشعّب الآراء فيهِ فذهبت الشيعة فيهِ ملعبًا معروفًا وافترق اهل السنّة فمنهم من غالى في بغضهِ واجاز لعنهُ ومنهم من اقتصد ومنهم من خالف وحسّن الظنّ وكان من هؤلاء الشيخ عديّ بن مسافر فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها رأيناهُ يقول فيها « وان يزيد بن معاوية رضي الله عنهُ امام وابن امام ولي الخلافة وجاهد في سبيل الله ونقل عنهُ العلم الشريف والحديث وانهُ بريء مما طعن فيهِ الروافض من اجل قتل الحسين رضي الله عنهُ وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيهِ » . فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية في يزيد فانهم تولّوهُ اولاً تبعًا لرأي شيخهم ثم جروا فيهِ على ما جروا عليهِ من الغلوّ في غيرهِ فجعلوهُ وليًّا ثم نبيًّا وما زالوا بهِ حتى اتّخذوهُ الهًا من الآلهة السبعة حين تمادوا في الضلال واستغرقوا في السخافات والاوهام

وقد تعرّض لذلك ابن تيمية في الرسالة العدوية ولم يكونوا بلغوا بهِ في زمنهِ غير مرتبة النبوّة فقال « اعتقد بعضهم انهُ كان من الانبياء و يقولون من وقف في يزيد وقفهُ الله على نار جهنّم و يزورون عن الشيخ حسن بن عديّ انهُ كان كذا وكذا وليًّا وقفوا على النار لقولهم في يزيد » وقد اطال في هذا الموضوع و بيّن افتراق الناس فيهِ بين محبّ ومبغض وما نشأ عن تمسك كلّ فريق برأيهِ من الضلالة حتى جعلهُ بعضهم كافرًا زنديقًا والبعض من ائمة الهدى وكبار الصلحاء بل الاولياء وذكر انّ منشأ الاعتقاد بصلاحهِ كراهة بعض اهل السنّة للعنهِ فظنّ قوم ممّن يتسنن أنّ ذلك بني على صلاحهِ فاعتقدوهُ . ثم بيّن لهم خطأ الفريقين ونصحهم باتّباع الاولى وهو الاقتصار فيهِ على ان لا يسبّ ولا يحبّ

منشأ اعتقادهم في الشيطان

ليس في عقيدة الشيخ عديّ ما يخالف الاصول المعروفة في عقائد اهل السنّة والجماعة وقد تصفّحناها فلم نشمّ منها رائحة رأي في الشيطان يُخرّج اعتقاد اليزيدية عليهِ بل رأيناهُ فيها بالعكس يكثر من لعنهِ ويغلي على من يزعم انّ الخير من الله والشرّ من ابليس وعلى من تعالوا فقالوا ارادة ابليس فوق ارادة الله تعالى . فترى من هذا انّ مذهبهم في الشيطان غير

مبني على قول شيخهم كما بُني مذهبهم في يزيد بل هم فوق ذلك مخالفون لهُ ومفسدون لرأيهِ فيهِ ولم يشر ابن تيمية في الرسالة العدوية الى شيء من ذلك فالظاهر انهم جنحوا لهذا الرأي بعد زمنهِ ولعلهُ نشأ من احد من تولّى زعامتهم من المشايخ واليك ما ظهر لنا في ذلك

قد تقدّم ان اليزيدية لم يكونوا الاَّ طائفة من الصوفية ثم صاروا من غلاتهم وما زالوا يتمادون في الغيّ حتى باينوا جميع الفرق الاسلامية وخرجوا من الاسلام جملة . ولا يخفى أنّ لغلاة الصوفية من الآراء الشاذّة والكلمات الموهمة ما لا يحتمل ظاهرهُ ينطقون بها في أحوال تعرض لهم يسمّونها بالطوالع او الشطح او غير ذلك ويحملها بعضهم على خلاف ظاهرها بضروب من التأويل ليس من موضوعنا الكلام فيها . وقد اشار ابو حفص عمر بن محمد السهروردي في عوارف المعارف عند كلامهِ على الخلوة الى ما يقع لبعض الصوفية من الزيغ وذكر انّ ما يفتح بهِ على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سبباً لمزيد بعدهِ وغرورهِ وحماقتهِ وانهُ لا يزال حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقهِ ويتكر الحدود والاحكام الى آخر ما قال

ومن تلك الآراء ما ذهب اليهِ بعضهم من التعصُّب لابليس وتبرير عملهِ في عدم السجود لآدم بل نسب هذا القول لبعض كبارهم ومنهُ ما رواهُ ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة حيث قال

« وكان ابو الفتح احمد بن محمد الغزالي الواعظ اخو ابي حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي قاصًّا لطيفاً وواعظاً مفوّهاً وهو من خراسان من مدينة طوس قدم بغداد ووعظ بها وسلك في وعظهِ مسلكاً منكراً لانهُ كان يتعصب لابليس ويقول انهُ سيد الموحدين . وقال يوماً على المنبر من لم يتعلّم التوحيد من ابليس فهو زنديق أمر ان يسجد لغير سيدهِ فابى

ولست بضارع الاَّ اليكم واسأ غيركم حاشا وكلاَّ

وقال مرة اخرى لما قال لهُ موسى ارني فقال لن فقال هذا شغلك تصطفي آدم ثم تسوّد وجههُ وتخرجهُ من الجنة وتدعوني الى الطور ثم تشمت بي الاعداء هذا عملك بالاحباب فكيف تصنع بالاعداء . وقال مرة اخرى وقد ذكر ابليس على المنبر لم يدرِ ذلك المسكين ان اظافر القضاء اذا حكّت أدمت وان سهمَ القدر اذا رمت اصمت ثم قال لسان حال آدم ينشد في قصتهِ وقصة ابليس

وكنت وليلى في صعود من الهوى فلما توافينا ثبتّ وزلّتِ

وقال مرة اخرى التقى موسى وابليس عند عقبة الطور فقال موسى يا ابليس لمَ لم تسجد

لآدم عليهِ السلام فقال كلاَّ ما كنت اسجد لبشر كيف أوحّدهُ ثم التفت الى غيرهِ ولكنك انت يا موسى سألت رؤيتهُ ثم نظرت الى الجبل فانا اصدق منك في التوحيد . وكان هذا الغط في كلامهِ يدق على اهل بغداد وصار لهُ بينهم صيت مشهور واسم كبير » . الى ان قال « وهذا نوع تعرفهُ الصوفية بالغلو والشطح ويروى عن ابي يزيد البسطامي منهُ كثير » انتهى.

بل قد شطَّ بعض المتكلمين كالنظام فزعموا انهُ تعالى لا يقدر على شيء من الشر وان ابليس يقدر على الخير والشر ذكر ذلك ابن الجوزي في كتابهِ تلبيس ابليس . فمن مثل هذه المقالات نشأ الاعتقاد في الشيطان عند اليزيدية والراجح ان احد شيوخهم اولع بهِ شاع بينهم ثم زادوا فيهِ ما زادوهُ

اما تسميتهم لهُ بطاووس ملك وقولهم في مصحف رش « اول يوم خلق الله فيهِ هو يوم الاحد وخلق فيهِ ملكاً اسمهُ عزازئيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع » فلهُ اصل ايضاً وهو ما جاء في بعض الآثار عن كعب الاحبار وغيرهِ ويكثر ورودهُ في قصص الانبياء وبعض التفاسير من ان ابليس كان يسمى في السماء السابعة بعزازئيل وانهُ كان مجتهداً في العبادة حتى لم يترك من السماوات والارضين موضع شبر الاَّ سجد فيهِ فسمي لذلك طاووس الملائكة وانهُ كان سيّد الكروبين والروحانيين ورئيس خزّانة الجنة

النتيجة

فيتبين مما تقدم أن تكوين هذه الطائفة كان على يد الشيخ عدي بن مسافر في القرن السادس الهجري وانها سميت بالعدوية نسبة اليهِ ثم تسمّت بعد ذلك باليزيدية وأن منشأ الاعتقاد في يزيد بن معاوية منهُ فلا صلة لهم بيزيد ابن ابي أنيسة ولا بنحلتهِ كما توهمهُ بعض الباحثين . وان طريقتهم تطوّرت بعد ذلك في اطوار فبدأ فيها الانحراف في زمن الشيخ حسن بن عدي ثم توالى عليها النقص والزيادة والتغيير والتبديل قرناً بعد قرن حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن . ولعل فيما قدمناهُ من الشواهد العديدة والادلة البيّنة ما يزيل الشك ويوضح الغموض الذي تكتنف هذه النحلة الغريبة وترك الناس في عمياء من امرهم حقباً طويلة والله اعلم

احمد تيمور

الدكتور باستيان

كثرت وفيات العلماء رجال القلم في اواخر العام الماضي كأنهم ارادوا ان يجاروا اخوانهم رجال السيف . ومن اكابر العلماء الذين نعتهم المجلات العلمية الدكتور باستيان رصيف باستور وداروين وهكسلي وتندل كما يعلم قراء المقتطف من البحث في التولُّد الذاتي . توفي في السابع عشر من شهر نوفمبر الماضي فخلت بوفاته سلسلة العلماء الطبيعيين الذين كان لهم الشأن الاكبر في الربع الاخير من القرن التاسع عشر وهو العصر الذي نشأ فيه المقتطف وترعرع

ولد سنة ١٨٣٧ ودرس الطب في جامعة لندن ونال الدبلوما الطبيَّة سنة ١٨٦٦ واختير لتدريس الباثولوجيا فيها ثم جُعل استاذاً في التشريح الباثولوجي سنة ١٨٦٧ فاستاذاً لعلم الطب وعملهِ سنة ١٨٨٧ . وكان ثقة في الامراض العصبيَّة لكثرة ما تعمَّق في درس وظائف الدماغ والاعصاب ولهُ كتاب « الدماغ آلة العقل » وهو كتاب نفيس ممتع يقع في اكثر من ٧٠٠ صفحة طبع ١٨٨٠ وكتاب الفالج وكتاب الافازيا اي فقد النطق . ولكن اكثر شهرتهِ متأتٍ بمباحثهِ وتجاربهِ في التولُّد الذاتي فانهُ كان من القائلين بهِ ولهُ رسائل ومقالات كثيرة في هذا الموضوع . وآخر ما نشرناهُ عن تجاربهِ في التولُّد الذاتي مقالة في مقتطف مارس سنة ١٩١٤ وخلاصة ما قالهُ في ذلك انهُ ولَّد بالامتحان بعض الاحياء البسيطة بعوامل طبيعيَّة وكيماوية كما تولَّدت المواد الحيَّة في غابر الزمن من مواد غير حيَّة . وان نشوء الحي من غير الحي لا يزال يتكرَّر على وجه الارض حتى الآن . ولا يُعلَم كيف يتم هذا التولُّد ولكنهُ يبدأ بتجمع دقائق المادة لتكوين ذرات اكبر منها ثم تكبر هذه الذرات حتى تصير ترى بالمكرسكوب القوي ولتتخذ اشكالاً تشبه بعض انواع الاحياء البسيطة على طريقة تقرُّب من تكوُّن البلورات . ويجب ان نثق باطراد النواميس الطبيعيَّة أي يجب ان نثق ان ما حدث في الماضي يحدث ايضاً في الحاضر والمستقبل فاذا كانت المادة الحيَّة نشأت من المادة غير الحيَّة في العصر الماضي بفعل النواعل الطبيعية فهذا دليل على انها تنشأ اليوم ايضاً بفعل الفواعل الطبيعيَّة

الاَّ ان همَّة العلماء غير منصرفة الآن الى اعادة تجارب باستيان فهم لا ينكرون ان الاحياء تولَّدت في عصر من العصور على وجه هذه البسيطة من مواد غير حيَّة ولا ينكرون ان تولدها ممكن الآن اذا توفَّرت اسبابهُ ولكنهم يستبعدون الوصول الى هذه الاسباب واستخدامها . وقد كتب اثنان من باريس الى مجلة الصناعة الانكليزية حديثاً يقولان انهما جربا بعض التجارب حسب ارشاد باستيان فتولَّد بها بعض الاحياء

والدكتور باستيان من القائلين ايضاً بتولّد الانواع بعضها من بعض فجأةً وله كتاب في ذلك وبقي الى قبيل وفاته يبحث ويجرب قاصداً تأييد مذهبه في التولّد الذاتي واقناع العلماء به وكان رضي الاخلاق يكرمهُ اخوانهُ العلماء الذين يخالفونهُ في رأيهِ كالذين يؤيدونهُ فيهِ لكبر همتهِ ولين عريكتهِ وسعة معارفهِ

الاستاذ رفائيل ملدولا

وقد خسر العلماء ايضاً خسارة فادحة بوفاة الاستاذ ملدولا العالم الطبيعي الكيماوي المشهور . توفي في السادس عشر من نوفمبر الماضي وهو من بيت يهودي من يهود اسبانيا والبرتغال الذين هاجروا الى انكلترا و يتصل نسبهُ باشعيا ملدولا الطليطلي المتوفى ١٣٤٠ اي منذ نحو ستمائة سنة وقد نشأ من هذه الاسرة كثيرون من العلماء والوجهاء وسميت باسم ملدولا نسبة الى مكان بهذا الاسم نزلهُ فرع منها في ايطاليا قرب رافنا

درس في مدرسة الكيمياء الملكية واشتغل مع الدكتور هنهوس في البحث الكيماوي ثم درّس في مدرسة العلوم الملكية لما كان الاستاذ فرنكلند رئيساً لها لكنهُ لم يقتصر على المباحث الكيماوية بل اولع ايضاً بالمباحث الطبيعية وساعد السر نورمن أُكسبر في البحث الفلكي بالسبكتروسكوب ورأس البعثة التي ارسلت لرصد كسوف الشمس في جزائر تيكوبار بخليج بنغال سنة ١٨٧٥ . ولكن اكثر اشتغالهِ كان في الكيمياء ولاسيما عمل الاصباغ وقد اكتشف اصباغاً كثيرة اشهرها الصبغ الازرق المعروف باسمهِ عند الالمان

وسنة ١٨٨٥ جعل استاذاً للكيمياء في كلية فسبري الصناعيَّة فتخرج عليهِ كثيرون من الذين اشتهروا بالكيمياء علماً وعملاً وكان تلامذتهُ يكاتبونهُ دائماً و يستشيرونهُ في علومهم ومباحثهم فلا يخل عليهم بفائدة حتى كان الجانب الاكبر من وقتهِ يقضى في مكاتبتهم

ورأس الجمعية الكيماوية وجمعية الصباغين وصانعي الاصباغ وجمعية الصناعة الكيماوية والمعهد الكيماوي وكان يخطب في هذه الجمعيات مبيناً اهميَّة المكتشفات العلمية في تقدُّم البلاد وحل المشاكل التي تعترض سكانها وكثيراً لام الانكليز لانهم اغفلوا صناعة اصباغ الانيلين بعد ان اكتشفوها حتى استأثر الالمان بها واغنوهم بسوء العاقبة من جراء ذلك فأبدت هذه الحرب انذارهُ

واقترح عليهِ دارون ان يترجم كتاب وسمن في مذهب النشوء فترجمهُ من الالمانية الى الانكليزية وارسل اليهِ ايضاً رسائل فرنز ملر من برازيل عن الحشرات وتقليدها فترجمها ايضاً وبذلك شاع مذهب وسمن في النشوء ومذهب ملر في التقليد وكان صديقاً لدارون وولس

قوات الدول المتحاربة

انشأ المستر سيموندس الكاتب الاميركي والناقد الحربي المعروف مقالة عن الجيوش التي عبأتها الدول المتحاربة في اول الحرب وما منيت به من الخسارة والموارد التي تستمد منها هذه الدول ما يقع في صفوف جيوشها من النقص وما يستنتج من ذلك كله في تعيين الزمن الذي تنتهي فيه الحرب . قال :

كان للحلفاء في الاشهر الاولى من الحرب ٤ ½ مليون جندي في ساحات القتال وهم مليونان من الفرنسويين وشلهم من الروس وربع مليون من السربيين و ٤٥٠ الفاً من الانكليز و ١٠٠ الف من البلجيكيين

وكان للدولتين الجرمانيتين مقابلهم ٤ ½ مليون جندي ايضاً وهم ٣ ملايين من الالمان و ١ ½ مليون من النمسويين

وقد زادت جيوش الحلفاء في السنة الاولى من الحرب بدخول ايطاليا فيها ولكن الدولتين الجرمانيتين لم تزد جيوشها المحاربة زيادة تذكر وكذلك دول الحلفاء عدا ايطاليا

والاعداد المذكورة آنفاً تمثل بوجه التقريب القوات التي تستطيع الدول المحاربة ان تبقيها في ميادين القتال على الدوام

وقد بلغ مجموع ما ارسلتهُ دول الحلفاء من المدد الى ميادين القتال لسد النقص الذي وقع في صفوف جيوشها والزيادة التي زادتها بريطانيا العظمى على جيشها نحو ٥ ½ مليون جندي ونزلت ايطاليا الى ساحة الحرب ٨٥٠ الف جندي ومجموع ذلك ٦ ملايين و ٣٥٠ الف جندي

وبلغت خسارة الحلفاء في السنة الاولى من الحرب ٦ ملايين و ٧٠٠ الف جندي منهم ٥ ملايين و ٦٠٠ الف خسارة دائمة او جنود لم يعودوا يصلحون للقتال لو رجعوا في الامر ومليون و ١٠٠ الف خسارة وقتية او جنود اصيبوا بجروح وامراض خفيفة شفوا منها وعادوا الى استئناف القتال

اما خسارة الالمان والنمسويين فبلغت في السنة عينها ٦ ملايين و ٣٥٠ الف جندي منهم ٥ ملايين خسروه خسارة دائمة ومليون و ٣٥٠ الفاً خسارة وقتية . وقد اقتصرت المانيا والنمسا على ارسال ما يكفي من الجنود لسد النقص الذي وقع في صفوف جيوشها او ٥ ملايين جندي فقط

ويبلغ ما عند الحلفاء الآن من القوات في ميادين الحرب ٥ مليون جندي يقابلهم ٤ مليون جندي عند الدولتين الجرمانيتين

وفي التالي بيان الخسارة كل دولة من الدول المتحاربة على حدة وهو

روسيا	٤٠٠٠٠٠٠
فرنسا	٢٠٠٠٠٠٠
بريطانيا العظمى	٠٤٠٠٠٠٠
ايطاليا	٠١٠٠٠٠٠
البلجيك	٠١٠٠٠٠٠
صربيا	٠١٠٠٠٠٠
المانيا	٣٣٥٠٠٠٠
النمسا	٣٠٥٠٠٠٠

فاذا اردنا ان نعرف الخسارة الدائمة لكل دولة من هذه الدول نقصنا من خسارتها الخمس على الاقل او الربع على الاكثر وهما يمثلان الخسارة الوقتية فيكون الباقي الخسارة الدائمة . اما روسيا فقد عظمت خسارتها بكثرة ما وقع من جنودها في الاسر و يقدر عدد الاسرى الروسيين في المانيا والنمسا بنحو مليونين اما الاسرى النمسويون الذين في روسيا فيبلغون مليونًا

قال الكاتب : واني اقدر ما للحلفاء من الجيوش الآن (في اكتوبر) في ساحات الحرب في اوربا بما يأتي

روسيا	١٥٠٠٠٠٠
فرنسا	٢٠٠٠٠٠٠
بريطانيا العظمى	٠٧٥٠٠٠٠
ايطاليا	٠٧٥٠٠٠٠
صربيا	٠١٥٠٠٠٠
البلجيك	٠١٠٠٠٠٠

اما جيوش الدولتين الجرمانيتين فلم تزد على ٤ مليون جندي كما تقدم

واقدر ان للالمان في الميدان الغربي ١ مليون من الجنود مقابل مليونين من الجنود الفرنسويين و ٧٥٠ الفًا من الجنود الانكليز . و ١٠٠ الف من الجنود البلجيكيين . وان

في الميدان الشرقي ١ ½ مليون من الجنود الروسيين واقفين في وجه ١ ½ مليون من الجنود الالمان ومليون من الجنود النمسويين. وان للنمسويين نصف مليون جندي في الجنوب يناوئون ٧٥٠ الف جندي من الايطاليين و ١٥٠ الفاً من الصربيين

ولم اذكر في هذا الحساب القوات العثمانية وذلك لان الحسابات البريطانية والفرنسوية نفسها تغفل ذكر جنود المستعمرات والجنود الوطنية . نعم ان بعض هذه الجنود يحارب الآن في فرنسا وولاية فلندر ولكن هناك ما يقابلها من الجنود النظامية الانكليزية والفرنسوية تحارب في الدردنيل ويغلب على ظني ان للانكليز والفرنسويين في شبه جزيرة غليبولي جيشاً مؤلفاً من ٣٥٠ الف جندي يقابلهُ جيش عثماني مؤلف من ١٥٠ الفاً . اما خسارة الحلفاء في هذا الميدان فتزيد على مئة الف جندي وكذلك خسارة العثمانيين فانها مثل ذلك او اكثر واذا قومنا ما عند فرنسا وبريطانيا العظمى من جنود المستعمرات والجنود الوطنية بما عند تركيا من القوات تخلصنا من ادخال الفريقين في حسابنا هذا

***

اتضح لنا من البحث المتقدم معدل الخسارة التقريبية التي خسرها كل من الفريقين المتحاربين في السنة الاولى وقد بقي علينا ان نقدر ما عند كل دولة من الدول المتحاربة من موارد الرجال حتى نتوصل من ذلك الى معرفة الزمن الذي تنضب فيه هذه الموارد اذا بقي معدل الخسارة جارياً على الوتيرة التي جرى عليها في السنة الاولى

اجمع الخبيرون على ان نسبة الرجال الذين يصلحون لخدمة العسكرية والقتال لا يزيدون على جزء من عشرة اجزاء من مجموع اية امة كانت وهذه النسبة اكبر مما استطاعت الولايات الشمالية في اميركا ان تجندهُ في الحرب الاهلية واقرب الى ما استطاعتهُ الولايات الجنوبية من هذا القبيل لانها ساقت آخر ما يصلح عندها من الرجال الى ساحات القتال

واذا جرينا على هذا القياس او النسبة في تقدير ما تستطيع كل دولة من الدول المحاربة تجنيدهُ من رجالها رأينا انهُ كان في وسع المانيا ان تسوق الى الحرب ستة ملايين و ٧٠٠ الف المقاتلة والنمسا خمسة ملايين وفرنسا اربعة ملايين

اما الحالة في روسيا فمختلفة عنها في سائر البلدان لاننا اذا قدرنا ما في روسيا من الرجال الصالحين للخدمة العسكرية بنسبة واحد الى عشرة بلغ مجموعهم سبعة عشر مليوناً ومثل هذا العدد الكثير يستحيل تسليحهُ واعدادهُ للحرب دفعة واحدة ولكنهُ مورد غزير تستمد منهُ روسيا من الاحتياطي بمقدار ما تستطيع تسليحهُ كل عام وقد استمدت منهُ في السنة الماضية ثلاثة

ملايين جندي وستظل تمد منهُ مثل هذا العدد كل عام ما دامت الحرب شديدة والقتال دائرٌ

اما بريطانيا العظمى فالخدمة العسكرية فيها ليست اجبارية كما هي الحال في سائر البلدان الاوربية ولم يكن عندها قبل الحرب جيش كبير دائم ولا احتياطي وطني مدرب ومع ذلك فقد تمكنت من تأليف جيش من ثلاثة ملايين جندي في سنة واحدة ولكن ليس في وسعها ان تؤلف جيشاً عظيماً جديداً مثل هذا في كل سنة واذا طبقنا عليها القياس الذي قسنا بهِ ما تستطيع كل دولة تجنيدهُ رأينا انهُ لم يبقَ في بريطانيا العظمى سوى مليون ونصف مليون من الصالحين للخدمة العسكرية ولا يظن ان في الامكان تجنيد هؤلاء كلهم الاَّ بجعل الخدمة اجبارية

وقد سبقنا فبينا ما لكل دولة من الدول المتحاربة من القوات في ساحات القتال ولكن وراء هذه القوات احتياطياً كبيراً جداً عند الحلفاء وهو مؤلف من ٢ ½ مليون عند بريطانيا العظمى و ٩٠٠ الف عند فرنسا (٤٠٠ الف باقية من المقترعين السابقين و ٥٠٠ الف من مقترعي ١٩١٧) اما ايطاليا فلم تدع من جنودها سوى ٨٥٠ الفاً ولما كانت ايطاليا تستطيع تجنيد ٣ ½ مليون جندي بحسب النسبة العشرية فيكون الباقي عندها مليونين و ٦٥٠ الف جندي لم يدعوا حتى الآن الى حمل السلاح ولكن لا يظن ان ايطاليا تستطيع تسليح هذا الجيش الكبير اذا جمعتهُ والانفاق عليهِ والمرجح ان لا يزيد الاحتياطي الذي تنزلهُ في سنة ١٩١٦ الى ساحات القتال على نصف مليون جندي . فيتضح من ذلك ان الحلفاء يمكنهم الاعتماد في العام القادم على احتياطي مؤلف من ٧ ملايين جندي ولما كان معدل خسارتهم ½ ٥ مليون في السنة قياساً على معدلها في السنة الماضية وكان عندهم الآن في ميادين القتال مثل هذا العدد تماماً ظل صافي ما يبقى لهم من الجنود في آخر السنة القادمة ٧ ملايين

واذا جرينا على هذه القاعدة تماماً في حساب ما يبقى للالمان والنمسويين مع الجنود في آخر السنة القادمة رأينا ان المانيا والنمسا كانتا تستطيعان تجنيد ١٢ مليوناً بحسب النسبة العشرية في شهر اغسطس في السنة الماضية . وان لهما الآن في ساحات القتال ٤ ½ مليون جندي وان خسارتهما بلغت في العام الماضي ٥ ملايين جندي كما بينا ذلك آنفاً وجملة ذلك ٩ ½ مليون جندي اذا طرحناها من ١٢ مليوناً وهو كل ما تستطيع هاتان الدولتان تجنيده بقي ٢ ½ مليون جندي وهو الاحتياطي الذي تستطيع المانيا وانمسا الاعتماد عليهِ في العام القادم . يضاف اليهِ المقترعون في سنة ١٩١٧ وعددهم مليون و ٢٠٠ الف بحند فيكون مجموع

الاحتياطي الالماني والنمسوي في السنة القادمة ٣ ملايين و٧٠٠ الف جندي . فاذا اضفنا ذلك الى ما في ساحات القتال من الجنود الالمانية والنمسوية الآن وقدره ٤ ½ مليون جندي بلغ المجموع كلهُ ٨ ملايين و ٢٠٠ الف جندي يطرح منهُ الخسارة في العام القادم بمعدل ٥ ملايين جندي فيبقى ٣ ملايين و ٢٠٠ الف جندي في آخر سنة ١٩١٧ عند المانيا والنمسا مقابل ٧ ملايين جندي عند الحلفاء عدا روسيا

فاذا فرضنا ان الالمان والنمسويين يستطيعون الاحتفاظ بخطوطهم الحالية الى اول اغسطس القادم فماذا تكون حالة كل دولة من الدول المتحاربة حينئذٍ من جهة الجنود الجدد اللازمين للحرب . ان عدد المقترعين السنوي في فرنسا يبلغ ٤٠٠ الف وفي بريطانيا العظمى مثل هذا العدد ايضاً وفي ايطاليا ٣٥٠ الفاً مع ما تنزلهُ من جيشها الكبير الذي لم ينزل الى ساحات القتال وقدرهُ مليونان و ٦٥٠ الف جندي يقابل ذلك مليون و ٢٠٠ الف مقترع عند المانيا والنمسا

ولكننا لم ندخل في حسابنا المتقدم روسيا وفي وسعها ان تنزل ٣ ملايين جندي الى ساحات القتال في كل عام على اعوام عديدة وهنا سر تفوق الحلفاء بل سر حرب التفاني التي وضعها الحلفاء نصب عيونهم من اول الحرب

فواضح مما تقدم من الارقام ان المانيا والنمسا لا تستطيعان ان تبقيا جيوشهما في ساحات القتال على قوتها الحالية او ٤ ½ مليون جندي بعد الربيع القادم بل ان هذه الجيوش ستنقص في اول شهر اغسطس القادم الى ٣ ملايين و ٢٠٠ الف وتكون مضطرة حينئذٍ الى مناوأة ٧ ملايين جندي من الفرنسويين والانكليز والايطاليين عدا الملايين الثلاثة التي ستنزلها روسيا الى ساحات القتال حينئذٍ وما تنزلهُ ايطاليا من جيشها العظيم الذي لم تدع رجالهُ الى حمل السلاح

اما موارد الجنود في المانيا والنمسا فتقتصر حينئذٍ على المقترعين الالمان النمسويين فقط كما تكون الحال في فرنسا وبريطانيا العظمى ايضاً

وبعبارة اخرى انهُ لا يدخل شتاء سنة ١٩١٦ حتى يفطر الالمان والنمسويون الى تقصير خطوط قتالهم في الشرق والغرب بسبب ضعف جيوشهم وقلة عددها بالنسبة الى جيوش الحلفاء الجرارة

اما الحلفاء فلا ينتظرون حدوث تغيير عظيم في خطوط القتال الحالية قبل شهر اغسطس وليس في عزمهم ان يحدثوا فيها تغييراً الى ذلك الحين . ومن يعش يرَ

باب تدبير المنزل

قد فقنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وغير ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الشيخوخة

اوصافها وحاجاتها

لو استطاع الناس التحرر من ربقة الامراض الوراثية لخلق كل مولود سوياً لا عيب فيه ولا داء يخامرهُ لأربت سنهُ على المائة الا في النادر . وليس للوفيات المبتسرة من سبب سوى الجهل الا حيث تعترض الفواجع فلا ينفع فيها علم ولا حول . على ان الانسان تمكن بسعيه من تبديد بعض غياهب الجهل ومعرفة قواعد الصحة ومبادىء ما يسمونهُ بالهيجين ولكن لا تزال هناك حجب كثيرة متلبدة لا غنى لهُ عن تبديدها قبل الرتوع في بحابح الصحة الكاملة والانتقال من الاولى الى الاخرى انتقالاً طبيعياً سهلاً لا تحسب الحياة عندهُ نعمة صرفة ولا الموت نقمة مقيمة

وقد علقت بالاذهان عامةً فكرة مؤداها ان تناقص الوفيات واطالة متوسط العمر هما بمثابة اطالة الاقامة في هذه الدنيا مدة ليست بالقصيرة . وهذه الفكرة ليست صحيحة تماماً . ففي انكلترا مثلاً خفض متوسط الوفيات كثيراً وتخفيض ١ في الالف يعني الابقاء على ٤٠ الفاً ومعظم هؤلاء من الاحداث والشبان . فقد ظهر من بعض الاحصاءات ان نقص الوفيات منذ خمسين سنة بلغ ٧ في الالف من الذين سنهم دون الخامسة والخمسين ولكنهُ لم يتجاوز ٢ في الذي جاوزوا تلك السن . ومعنى ذلك ان صغار السن حتى الكهول زادوا زيادة عظيمة والشيوخ لم يزيدوا الاَّ قليلاً

وقد تغيرت الامراض التي تصيب كبار السن عما كانت قبلاً او قل فتكها بهم . فالحمى على انواعها والجدري والسل اقل فتكاً بهم مما كانت من قبل ولكن وفيات السرطان زادت في اواخر القرن الماضي من ٣٥٠ الى ٥٨٠ في المليون ومعظم الذين يموتون به من الذين سنهم فوق الخامسة والاربعين . وزادت امراض القلب من ٩٠٠ الى ١٦٠٠ في

المليون . والامراض العصبية من ٥٠٠ الى ١٧٠٠ . وامراض الكليتين من ٢٣٠ الى ٤٤٥

وربما كان الانكليز اكثر تعميراً كأمة من كثير من الامم الاوربية . فمن كل الف ينهم يبلغ الخامسة والسبعين مئة نفس . والخامسة والثانين ٣٨ نفساً . والخامسة والتسعين نفسان . وخمس الانكليز يبلغون السبعين في حين انهُ لا يبلغها من اهل فرنسا سوى الثمن . ومن اهل ارلندا سوى جزء من ١١ من السكان . وهي نسبة عالية اذا قيست ببعض البلاد المعروفة بارتفاع متوسط الاعمار فيها كنروج مثلاً حيث يبلغ السن المذكورة ثلث السكان

على ان اطول الناس اعماراً اهل غرب ايطاليا على ما يعرف . واشهر معمري الانكليز رجلان واحد اسمهُ بار وآخر جنكنس . اما الاول فيقال انهُ تزوج ثانية بارملة وهو ابن ١٢٠ سنة وكان يعمل في حقلهِ وهو ابن ١٣٠ . فلما نمى خبرهُ الى الملك بعث يطلبهُ وكان قد بلغ سن ١٥٢ فاعجب بهِ واولم لهُ وليمة قابدى فيها من الجشع والنهم ما اورثهُ تخمة قضت عليهِ . واما الثاني فيقال انهُ مات عن ١٦٠ سنة

ولا ريب ان سكان القرى اطول عمراً من سكان المدن فان عدد الذين يبلغون ٦٥ في الاولى ضعفا الذين يبلغونها في الثانية او اكثر . وكثيرون من اهل المدن يموتون بين ٤٥ و ٥٥ ضعفاً واحياناً من غير ان يكون هناك مرض معيّن

وتختلف عادات المعمرين واطوارهم باختلاف امزجتهم واميالهم فقد روي ان التديس انطونيوس مات ولهُ من العمر ١٠٥ سنوات ولم يكن يأكل سوى شيء يسير من الخبز المبلول بالماء ولم يغتسل في زمانهِ ولا بدّل ثيابهُ . وعاش ذلك العمر كلهُ معتزل الناس في الصحراء . اما شفرل الكيماوي الفرنسوي فبلغ تلك السن تقريباً وكان كثير التأنق في اكلهِ ونظافة بدنهِ وكان يسكن قلب باريس . وكثيرون يعمرون مع ادمانهم للخمر والدخان والانقطاع عن تروية اجسامهم . فقد عرف عن انكليزي انهُ عاش ١٠٥ سنين ولم يورّض جسمهُ بعد بلوغ السبعين وكان عشاؤهُ على الدوام لحماً وخمراً كثيراً

والنساء اكثر تعميراً من الرجال . ففي سنة ١٨٧٣ مات في انكلترا ٨٩ نفساً بلغوا المئة او جاوزوها منهم ١٠ رجال فقط . وسبب ذلك ان النساء اقدر على مقاومة الامراض واقل تعرضاً للذراجيء وعوارضها . ففي هذه الحالة ترجح كفة الاناث على الذكور في العدد ولكن يعيد التوازن الى كفتي الميزان كون المواليد السنوية من الذكور اكثر من الاناث

وقد دلّ البحث على ان للتعمير شرطين : الاول كون الجسم صحيحاً في الاصل وخالياً

من المرض واسباب الضعف . والثاني عدم تعرضه للامراض والآفات المختلفة . وظهر من البحث في احوال ... شخص بلغوا الثمانين في انكلترا ان معظمهم اولاد آباء واجداد عرفوا بطول اعمارهم ونظافة مساكنهم وحسن قابليتهم وهضمهم لطعامهم واعتدالهم في مأكلهم وعدم شربهم الكحول والدواء الا في احوال نادرة ونومهم نوماً هادئاً وخلوهم من الروماتزم وفروعه . والغريب فيهم ان ٨٢ منهم كان آباؤهم مسلولين

والحرف تأثير عظيم في طول العمر وقصره . فقد وجد ان بعض اهل الحرف اليدوية في مدن انكلترا الصناعية يبلغون اشد قوتهم في اعمالهم وهم في سن الثلاثين فصانع الازرار مثلاً يصنع نحو ٦ آلاف زر يومياً وهو في سن الثلاثين او نحوه . وبعدها يتناقص ما يعمله منها شيئاً فشيئاً . ومثل هذا يقال في الحائك والفخاري وغيرهما من اهل الحرف الدنيئة . وما يقال عن هؤلاء يقال عن العمال صنع الايدي اي الحاذقين في حرفهم . فان العامل الصناع من عمال الازرار الذي يحصل تسعة جنيهات في الشهر اجرة عمله وهو في الاربعين لا يحصل سوى ٧ ½ جنيه متى بلغ الخامسة والاربعين . و ٤ ½ جنيه متى بلغ الخامسة والخمسين . و ٤ في الخامسة والستين . وصانع السكاكين (المطاوي) في معامل شفيلد يجب ان يضرب ٢٨ الف ضربة صائبة بالمطرقة كل يوم فلا عجب اذا رأينا اعصابهُ تضعف وعضلاته تضمر وهو في عنفوان شبابه

اما الفنون العالية التي لا تقتضي اجهاداً كثيراً فان صاحبها يتمتع بكامل قوته بعد ان يبلغ من الكبر عتياً . فميخائيل انجلو المصور الايطالي الشهير رسم رسوماً بديعة وهو في الرابعة والثمانين . وكان المصور تيتيان يصور صورة كبيرة لما دهمهُ الطاعون فاماتهُ وله من العمر ٩٩ سنة

والغالب ان الجسم يتغير بين الخمسين والمئة تغيراً ثابتاً يشبه تغيرهُ بين السنة الاولى والخامسة والعشرين ولكنهُ ابطأ منهُ وفي جهة الزوال . اي انهُ يقل مادةً وهمة وقوة على التوالي . فالعظام تخف والعضلات تضعف والهمة تصغر . وتفقد القابلية والاسنان على نسبة فقد القوة الهضمية . وفي هذه الحالة تتوقف الصحة على تناقص ثقل الجسم وقوته وهمته تناقصاً متساوياً في الثلاثة . وعليهِ كان الشيخ المزيل احسن صحة من الستين

اما القوى العقلية فتبقى على الغالب سليمة في الشيوخ . لان الدماغ يبقى على نموّ بعد بلوغ الجسم منتهى قوته وذلك يبلغ اشدهُ غالباً والجسم آخذ في الهبوط . هذه هي حالة الذين يشغلون عقولهم . اما الذين يقتصرون على الاعمال اليدوية فان انحطاط اجسامهم يصحبهُ

انحطاط عقولهم . فحص ٨٠٠ من الشيوخ فوجد ان معظمهم ميالون الى الكون والمسالمة واصغرهم من اهل اليسار . وثلاثة ارباعهم تهماء وعشرهم من اهل المدارك الواطئة . واربعة منهم مصابون بعسر هضم . ولا مشاحة ان سير القوى العقلية سيراً طبيعيًّا مقرونًا ببعض ذكاء فطري يفضي الى اطالة العمر

على ان الذكاء المفرط محسوب على صاحبه من عمره فان النوابغ الذين عمّروا قليل عديدهم واهل العبقرية يموتون صغاراً الاَّ في القليل النادر . ذلك بان الرجال كالمواقد كلما اضطرمت نارها اسرع انطفاؤها

واعمالنا في هذه الحياة الدنيا تستقر على حال واحد وتزداد كل يوم ثبوتًا بصيرورتها عادات حتى لتبت في آخر الامر كالآلات تعمل اعمالنا ولا نكاد نفكر فيها . وهذا يفضي الى اضعاف قوة الارادة فينا والنتيجة ان حركتنا ونشاطنا يبطئان شيئًا فشيئًا ثم يتوقفان قبل توقف الجزء الحيواني منّا عن عمله . وبعبارة اخرى اننا نبقى نتنفس ونهضم طعامنا ونمثله في حين ان حركتنا وارادتنا تتعذران علينا . وكثيراً ما يحدث ان يبيت المرء على شفا قبره ولا يبقى منهُ الاَّ العمل الآليُّ الصرف . فالذين يموتون حتف انوفهم انما يطأون عتبة الابدية خفافًا فلا يشعرون بانتقالهم اليها من دار هذا العمر

***

والشيخوخة ذات مزايا وعيوب ككلّ شيء غيرها . فالشيخ قلما يصاب بصنف من اصناف الحمى او بداء حادّ مُعدٍ . وبعد الثمانين لا يصاب بمرض ما في الغالب . هذه بعض مزاياه اما عيوبهُ فمنها ان عظامهُ تمسي خفيفة سريعة الانقصام فيسهل بذلك تعرّضها للانكسار ولكنها تجبر حتى في سن المئة وان يكن جبرها اصعب من جبر عظام الصغار

ومما يستحق الذكر ان جروح الشيخ وقروحهُ اسهل التئاماً واندمالاً من جروح الصغار وقروحهم . واذا اصيب الشيخ بالشلل او الصرع او ذات الرئة او الحمرة او احتقان الدماغ شفي منها سريعًا على الغالب . وكثيراً ما لا يصاب باحدها فيبلغ المئة من سنهِ بين عائلة مات فيها كثير من اولاده وحفدته بالحمى او الدفتيريا او غيرها . وتعليل ذلك ان اعضاءنا اذا عمرت معًا عدداً كثيراً من السنين ظهر فيهِ انها متلائمة لا خلل في احدها فمن الصعب طروء الخلل عليها وتقويض نظامها . واذا مات الشيخ حتف انفهِ بعد عمر طويل فقد موتهُ كثيراً من المظاهر المؤلمة التي ترى على صغار السنّ من طول المرض واشتداد النزع . فقد يبيت في سريرهِ نشيطًا جذلان ثم يصبح في اليوم التالي جثة هامدة

قلنا فيما تقدم ان للاعمال والحرف المختلفة تأثيراً في طول العمر او قصره . وبيان ذلك نقول انهُ ظهر من بعض الاحصاءات في انكلترا ان رجال الدين اطول الانكليز عمراً وظهر ان وفيات الذين يدمنون المسكر هي بين ٢١ و ٣٠ من سنهم خمسة اضعاف ما بين ٣٠ و ٤٠ من سن الذين لا يشربون مسكراً . وهاك جدولاً يبين الحد الذي يبلغهُ السكيرون وغيرهم على الغالب في اعمارهم المختلفة

الاعمار	السكيرون يعيشون فوقها	غيرهم
٢٠	١٥ سنة	٤٤ سنة
٣٠	١٣ «	٣٦ «
٤٠	١١ «	٢١ «
٥٠	١٠ «	٢١ «
٦٠	٠٩ «	١٤ «

وهاك جدولاً آخر يبين متوسط الوفيات في اهل الحرف المختلفة بين الانكليز على حساب ان متوسط الوفيات في انكلترا كلها ١٨ في الالف كل سنة

	٠٩ ½ في الالف
رجال الدين	١١ «
الفلاحون	١٣ «
الاساكفة	١٦ «
الحدادون	١٦ «
البدانون (قبل رخصة بيع المسكر)	١٧ «
النجارون	١٨ «
كتبة المحلات التجارية	٢٠ «
المعدنون	٢١ «
الخبازون	٢١ «
البدالون (بعد رخصة بيع المسكر)	٢٣ «
الجزارون	٢٤ «
صانعو البيرة	٢٨ «
سائقو المركبات واصحاب الفنادق	٣٣ «
النُدُل وسائر خدمة الفنادق	

ولننظر الآن في وسائل التعمير فنقول :

كلما ابعد المرء عن سن الخمسين قلّت حاجتهُ الى الطعام الكثير فان كورنارو الايطالي الذي عاش مئة سنة لم يكن يأكل في اخر يات عمرهِ سوى اوقية من الطعام الجامد و ١٤ من السائل كلّ يوم . واعظم مرض اصيب بهِ كان بسبب زيادة طعامهِ طوعاً لالحاح اهلهِ . اما اقلال الشيخ من الطعام فسببهُ قلة احتياجهِ اليهِ لقلة حركتهِ ورياضتهِ . وليست العبرة في توليد الحرارة بالوقود الذي يوضع في الموقد بل بالمقدار الذي يحترق منهُ . وكلما شابه طعام الشيخ طعام الطفل كان ذلك خيراً لهُ وابقى على حياتهِ . وافضل طعام للشيوخ قليل من الخبز واللبن الساخن والعسل والاثمار الناضجة او المطبوخة والزبدة الجديدة والبشورية . والطعام الساخن خير من البارد . والثماني مئة الذين تقدمت الاشارة اليهم وقيل انهم بلغوا الثمانين من عمرهم وجد ان نحو ثلثيهم كانوا معتدلين في اطعامهم ونحو الثلث كانوا مقلين ونفراً قليلاً كانوا مفرطين . واذا رأى الشيخ انهُ يزداد سمناً وثقلاً فالواجب عليهِ ان يقلل طعامهُ . ومما يحتاج اليهِ فوق قيلولة الظهر نومة قصيرة بعيد طعام الصباح واخرى قبيل الغداء

ويجب ان يكون لباسهُ خفيفاً دافئاً وثيابهُ التحتانية من الصوف . وان يدفأ سريرهُ في الشتاء بزجاجة او كيس من الماء الحارّ . فان معظم وفيات الشيوخ تحدث في ساعات الليل الاخيرة حينما تكون حرارة الجسم وقواهُ على اضعفها

ويجب ان يستحمّ الشيخ بالماء الفاتر كل يوم وبماء اسخن منهُ مرتين في الاسبوع . ولا يجلس في المجاري الهوائية . ولا يبكّر في النهوض من سريرهِ صباحاً . ولا يستحمّ بالماء البارد

ومن مقتضيات طول العمر طبع بارد وخلق طيب وقناعة غير محدودة . وكلما اشبهت الشيخوخة الطفولة كانت اقرب الى الحجة واولى بالوظيفة وليس هذا الشبه في النزق والجهل بل في الثقة العمياء والمحبة والبعد عن الهموم والقرب من دواعي السرور

التهاب الحلق

يصحب التهاب الحلق المشار اليهِ في الكلام على الزكام في اوائل هذا الجزء حمّى خفيفة وشيء من الصداع والسعال . وقد يشتدُّ السعال ويكون مؤلماً والغالب ان تزول هذه الاعراض بعد يومين او ثلاثة ولكن الالتهاب قد يمتدُّ الى اللوزتين ولا خطر منهُ ولكنهُ مؤلم متعب ويحسن حينئذٍ تناول مسهل سريع الفعل حتى اول الشعور بهِ فيزول او تقصر مدتهُ هذا اذا كان سطحيًّا واما اذا كان غائراً وهو المعروف بالتهاب اللوزتين التقيحي اي

المصحوب بتكون الصديد فيها فشديد الألم جداً لانهُ يشمل اللوزتين وما يتصل بهما حتى يتعذَّر البلع والنوم من شدَّة الألم (التتر) لكن الصديد الذي يتكون حينئذٍ في اللوزتين من قتل خلايا الدم ليكروبات الداء يخترقها ويخرج منها وحينئذٍ يسكن الألم ويزول الالتهاب رويداً رويداً . ولا فائدة من العلاج في هذه الحالة الاَّ لتخفيف الألم كوضع الثلج المسحوق على العنق واستنشاق البخار المسخن من ماء اضيف اليهِ مادة مضادة للفساد . واذا تكرر التهاب اللوزتين التقيحي فلا ضرر من قطعها والتخلص منها

الاعتناء بالشعر ومنع الصلع

لا يُعلَم الغرض من نمو الشعر في الراس وفي بعض اجزاء البدن ولا ما هي الفائدة من نموهِ طويلاً الى الحد الذي يطول اليهِ لو ترك كما يطول شعر النساء . ولا ما هي اسباب الشيب والصلع ولكن يعلم ان حياة كل شعرة من شعر الراس محدودة وهي على الاطول سنتان ولذلك لا خوف من وقوع الشعر يومياً بعد يوم الاَّ اذا لم ينمُ شعر آخر بدل الشعر الذي وقع

ولمنع الصلع وضعف الشعر واسقاطهِ فعَّالتان الاولى الاعتناء بالصحَّة العامَّة فان الصحيح البدن يكون صحيح الشعر في الغالب والضعيف البدن يكون ضعيف الشعر في الغالب . وقلنا في الغالب لان شعر بعض نحاف الاجسام المعرضين للسل قد يكون غزيراً طويلاً كاحسن ما يكون ولكن هذا قليل لا يقاس عليهِ . اما كون ضعف البدن يضعف الشعر فلان الشعر جسم حي يغتذي من الدم كسائر اعضاء الجسم فاذا لم يغتذِ جيداً ضعف اصلهُ وسقط باكراً وقد لا ينمو شعر آخر بدلاً منهُ حينئذٍ

والثانية تنظيف جلد الراس وفركهُ يومياً بفرشاة تحركهُ وتهيجهُ حتى تسرع الدورة الدموية فيهِ فان ذلك بمثابة ترويض اليدين بالعمل والرجلين بالمشي . وما الادهان والمغسولات الخارجة الاَّ وسائل للتنظيف والتهييج فهي كالفرشاة من هذا القبيل ولا بدَّ من استعمال الفرشاة معها فتتضاعف فائدتها . هذا اذا كان ضعف الشعر وسقوطهُ طبيعيين ناتجين عن ضعف البدن والدورة الدموية واما اذا كانا ناتجين عن مرض في جلد الراس فلا بدَّ من عَرْض الامر على طبيب ماهر في امراض الجلد لكي يبحث عن العلَّة ويعالجها

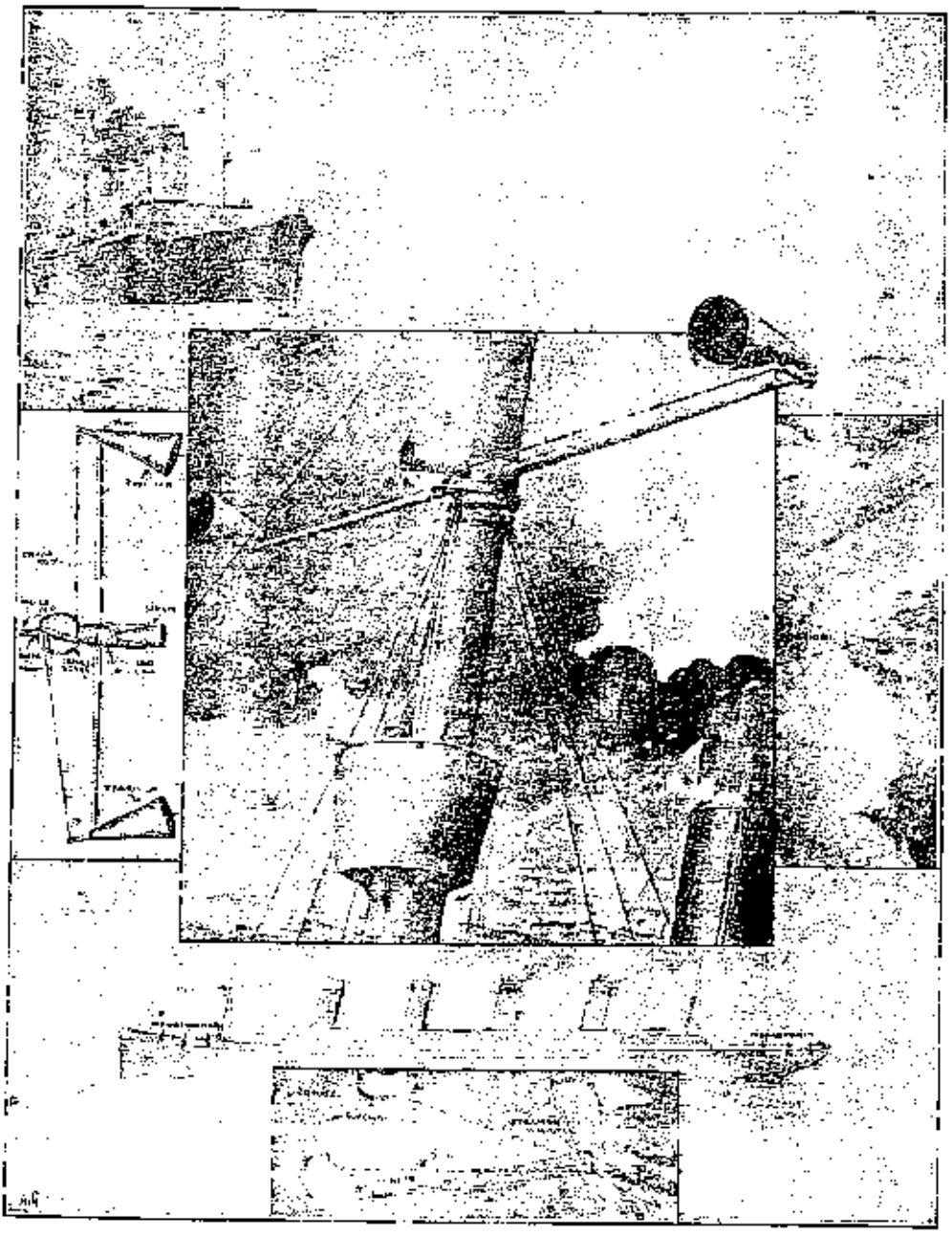

آوان الفن

متحف بنابر ٩٠٦

انظر الصفحة ٢٩

الباب الرابع عشر

آذان السفن

تباري صانعو السفن التجارية في كبر حجمها وزيادة سرعتها فزاد تعرضها للمخاطر وهلاك نفوس كثيرة من ركابها اما باصطدامها بقطع الجليد الجارية في البحر كما اصاب الباخرة تيتانك او باصطدامها بعضها ببعض او بالصخور التي يحجب الضباب رؤيتها . وفي كل حال لو كان للسفينة اذنان تسمع بهما لادركت الخطر قبل الوقوع فيه من انعكاس الاصوات عن مصدر الخطر . ولو كان للسفن كلها آذان للسمع لاستجار بعضها ببعض كلما ادركهُ الخطر

ويزيد الخطر على السفن وقت تكاثف الضباب فان كل سفينة تنفخ في بوقها حينئذٍ حتى تسمعهُ سائر السفن وتحيد عن طريقها فلا يصدم بعضها بعضاً ولكن سمع صوت البوق يتوقف على حدَّة سمع الرقيب ومقدرته على تعيين جهة الصوت وبعد مركزه . وتعيين الجهة والبعد من اصعب الامور ولاسيما وقت الضباب واشتداد العواصف

وقد استنبط احد المخترعين الاميركيين ابواقاً تجمع امواج الصوت حتى يسمع جيداً ولو كان على عشرين ميلاً و يُوصَل بوقان من هذه الابواق بطرفي انبوب طويل متصل بسارية السفينة معارضاً لها كما ترى في الشكل المقابل فيكونان كاذنين للسفينة وهما متصلان بمحل يحركهما فتتقارب فوهتاهما او تتباعدان . والمحل متصل بدليل يمرُّ على دائرة مقسومة الى اجزاء تدلُّ على الاميال واجزاء الميل . والمحل يديرهُ الرقيب وهو جالس في وكنة السارية كما ترى في الرسم . فاذا تلبد السحاب او الضباب جعل هذا الرقيب يدير المعارضة التي فيها البوقان الى كل جهات الافق حتى اذا سمع صوتاً ولو خفيفاً من جهة ما ابقى البوقين متجهين اليها وادار المحل حتى تتقارب فوهتاهما او تتباعدا ولا يزال يفعل ذلك الى أن يسمع الصوت على اشدهِ من البوقين وحينئذٍ يكون مركز الصوت واقعاً في المحور بينهما اي تكون المعارضة التي بين البوقين قاعدة مثلث متساوي الساقين احدى ساقيهِ خط مرسوم من احد البوقين الى مصدر الصوت والساق الاخرى خط مرسوم من مصدر الصوت الى البوق الآخر . ويدلُّ الدليل حينئذٍ على بعد مصدر الصوت عن السفينة بالميل واجزاء الميل ويكون في وسط المعارضة بين البوقين بوق ثالث وهو لتقوية الصوت الضعيف وهذا البوق يدور مع

العارضة فتسمع به الاصوات البعيدة كاصوات تنفُّس الامواج على قطع الجليد

وتوسَّل المخترع بوسيلة اخرى للاستدلال على مصادر الخطر بالتدقيق التام وهو انهُ ركَّب الابواق في طرفي السفينة مقدمها ومؤخرها كما ترى في السفينة المرسومة في اسفل الشكل فصار طول السفينة قاعدة لمثلث ومتى عرفت الزاويتان اللتان تتجه بهما الابواق في الجانبين عُرف البعد بين السفينة ورأس المثلث الذي هو مصدر الصوت

ومن المرجح ان هذه الطريقة لمعرفة مصدر الصوت تستعمل لمعرفة اماكن الطيارات ونحوها من الآلات التي يصدر منها صوت ولو كانت ابعد من ان ترى بالعين او لو حجبت عن العيون بالضباب او بالسحاب . ولو كان البعد بين اذني الانسان كبيراً لسهل عليهِ ان يعرف بعد مصدر الصوت كما يسهل عليهِ ان يعرف جهتهُ في غالب الاحيان

التلفون اللاسلكي

والتخاطب به عن ابعاد شاسعة

دأب كثيرون من اهل الاختراع منذ بضع سنين في اختراع تلفون يستطيع الناس التخاطب به على ابعاد شاسعة تقاس بالوف الاميال . وكانت العقبات التي تعترض في هذا السبيل كثيرة اهمها ضعف الميكروفون العادي عن احتمال التيار الكهربائية اللازمة لنقل الصوت بوضوح وجلاء الى اماكن سحيقة . وقد سهَّل على الباحثين مهمتهم هذه علمهم بان التخاطب عن بعد كبير ليس مستحيلاً بالذات بدليل ان النغمات الموسيقية تنقل بين الاماكن المتباعدة من غير ان تفقد شيئاً من قوتها وموسيقيتها

ومع عظم دأب المخترعين في اختراع هذا التلفون لم يوفق احد منهم الى ايصال الصوت الى اكثر من مئات من الاميال حتى اعلنت شركة التلفون والتلغراف الاميركية انها فازت باكتشاف طريقة يمكن التخاطب بها على الوف الاميال . واقامت التجارب في ٢٩ سبتمبر الماضي بمراقبة الحكومة الاميركية تأييداً لزعمها فارسلت الرسائل التلفونية اللاسلكية من محطة الحكومة قرب وشنطن الى مكان قرب سان فرنسسكو غرباً والبعد بين المكانين ٢٥٠٠ ميل . واغرب من ذلك ما اذيع في اليوم التالي لهذه التجارب من ان مهندساً للشركة متيماً في جزيرة هاواي احدى جزر هونولولو في الباسيفيكي سمع كل ما دار من الكلام بين المحطتين المشار اليهما آنفاً والمسافة بينهُ وبين وشنطن ٤٩٠٠ ميل اي نحو ضعفي المسافة بين وشنطن وسان فرنسسكو

فعلى ذلك اصبح التخاطب بالتلفون اللاسلكي ممكناً بين العاصمة الاميركية والعواصم الاوربية حتى بترغراد اقصاهن شرقاً اذ المسافة بينها وبين وشنطن تبلغ نحو خمسة آلاف ميل

ومما يذكر في هذا الصدد امكان استخدام التلفون العادي بالاتحاد مع التلفون اللاسلكي في التخاطب على مسافات بعيدة. فان رئيس الشركة المذكورة تكلم من مكتبه في نيويورك بالتلفون العادي مع المحطة اللاسلكية قرب وشنطن وهذه نقلت كلامهُ الى المحطة اللاسلكية عند سان فرنسسكو. فلا يبعد والحالة هذه ان يتمكن الناس بعد زمان وجيز من مخاطبة السفن الماخرة في عرض البحار والاصقاع النائية في جميع جوانب الكرة وهم جالسون في منازلهم ومكاتبهم وعدد التلفون العادية امامهم

اما المهندسون الذين تمّ هذا العمل الكبير على ايديهم فلا يدعون انهم اخترعوا شيئاً جديداً بل يعترفون ان الاختراع قديم ولكنهم اتقنوهُ واتمّوهُ واضطروا في هذا السبيل الى اختراع ادوات وحيل كثيرة لم تكن معروفة

ومما يزيد فائدة هذا الاختراع انهُ يمكن استعمالهُ في الاعمال والاشغال التجارية العادية من غير ادخال تغيير كثير على نظام التلفون العادي. فان التجارب التي جربت في نيويورك كما تقدم القول دلّت على ان التلفون اللاسلكي لا يلغي التلفون العادي ويقوم مقامهُ بل ان كلاً منهما يكون متمّاً للآخر ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد في المال والوقت

الكيمياء وقت الحاجة

يدّعي الالمان ان علماء الكيمياء منهم اكتشفوا غازاً اخف من الهيدروجين ولا يحترق مثلهُ فيملأون به بلوناتهم التي من نوع تسبلن فتكون بمأمن من الانفجار اذا اصابتها قنابل الاعداء وانهم استعملوا مزيجاً من الكحول والبنزول بدل البنزول واستعملوا الورق بدل القنّب وصنعوا الجلد واللستك صناعاً واكتشفوا ميكروباً يفعل بالسكر ويحيلهُ دهناً وابدلوا القطن بالخشب في عمل المتفجرات وهلم جرًّا. ومن المحتمل انهم فعلوا ذلك كلهُ ولكن اهتمام الالمان بجلب الاطعمة والبنزول واللستك والقطن من الخارج يدلُّ دلالة قاطعة على ان نفقة الاعمال الكيماوية التي تعمل بها هذه المواد كبيرة جدًّا تزيد على ثمنها لو جلبت من الخارج

خمر ولا سكر

وصفت مجلة الزراعة الايطالية (ايطاليا اغريكولا) خمراً جديدة فيها كل صفات الخمر وفوائدها ولكنها لا تسكر مطلقاً لانها خالية من الالكول (السبيرتو) وهي خمر عادية يخرج الالكحول منها بالاستقطار بعد ان يخفف ضغط الهواء عنها اي انها توضع في آنية ويفرغ الهواء من فوقها حتى يتبخَّر ما فيها من الالكحول

الاعضاء الصناعية

مهر الاوربيون في عمل الارجل الصناعية قبل هذه الحرب فقد رأينا رجالاً يمشون واحدى رجليهم صناعية وقلما يظهر فرق بين مشيهم ومشي غيرهم ولكن هذه الحرب علمتهم عمل الايدي الصناعية ايضاً . ويقال ان اليد الصناعية تتحرك وتحرك اصابعها وتعمل بعض الاعمال كاليد الطبيعيَّة وان بعض الجنود قطعت رجلاهم فوضعوا رجلين صناعيتين واستطاعوا ان يمشوا عليها . واخبرنا بعض القادمين من باريس حديثاً انهُ لا يتيسر الآن ان ترى في الشوارع رجالاً بارجل صناعية او بايدٍ صناعية ولا يظهر على الواحد منهم انهُ مصابٌ ممَّا حلَّ به بل يحسب انهُ نال ما يفتخر به على اقرانهِ

وفي الصفحة المقابلة صور بعض الايدي والارجل الصناعية وهي منقولة اصلاً عمَّا نشر في جريدة لندن المصورة . فالصورة المدلول عليها بالرقم ١ صورة ساق وقدم وقد شطرت الساق ليظهر ما في باطنها من المفصلات والاربطة والعدد التي تحرك الركبة عند المفصل فتنطوي عند المشي كما تنطوي الركبة الطبيعية . والشكل ٢ صورة تركيب مفصل الركبة . والشكل ٣ صورة القدم الصناعية وما في داخلها من المفصلات والمحركات . والشكل ٤ صورة الساق الصناعية من ظاهرها . والشكل ٥ صورة منظر خلفي لكيفية ربط الذراع الصناعية مكان الذراع الطبيعية المبتورة . والشكل ٦ صورة منظر امامي لها . والشكل ٧ صورة ما في داخل الذراع الصناعية من المحركات والعدد . والشكل ٨ ما في داخل الاصبع الصناعية من الآلات . والسيور والاربطة التي ترى في شكلي ٥ و٦ تربط فوق المفصلات الكتفية فاذا انقلصت هذه العضلات احدثت حركة في المحركات الداخلة في جوف العضو الصناعي فتنتقل الى الاطراف فتحدث حركات تحاكي الحركات الطبيعية

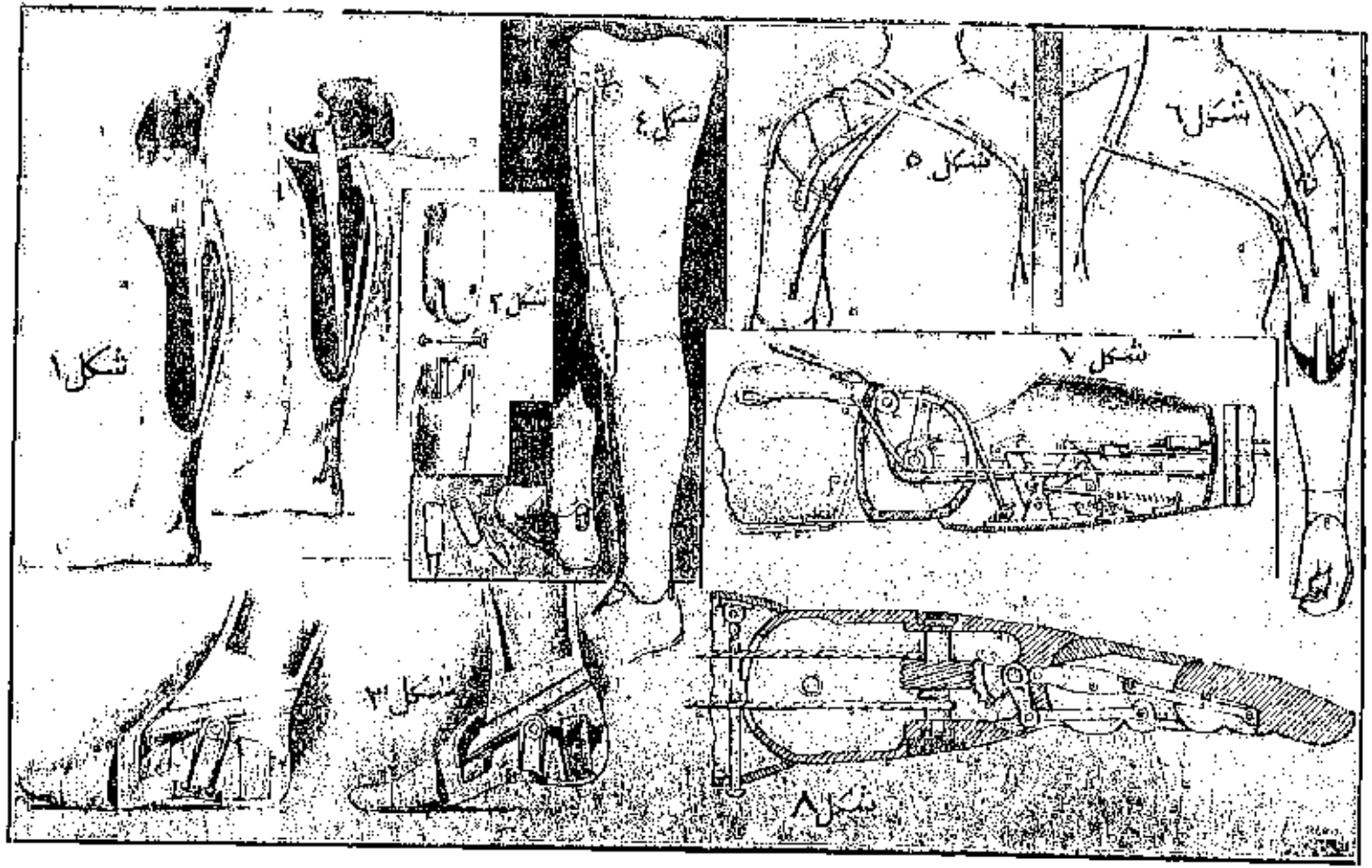

الاعضاء الصناعية

باب الزراعة

الصادرات الزراعية

بلغت قيمة صادرات القطر المصري الى آخر نوفمبر الماضي ٨٢٣ ٥٦٢ ٢٢ جنيهاً يقابل ذلك في العام السابق ٣٦٠ ٣٤٥ ٢١ فزادت ٤٦٣ ٢١٧ ١ مع ان اشهر الحرب في عام ١٩١٤ كانت اربعاً فقط

وقد شملت الزيادة اكثر صادرات القطر الزراعية المهمة ما عدا القطن والرز كما ترى في هذا الجدول وكلهُ بالجنيهات المصرية

الصادرات المهمة التي زادت قيمتها

	١٩١٥	١٩١٤	الزيادة
القمح	٠ ٤٤١ ٢٥١	٠ ٠٠٠ ٨١٢	٤٤٠ ٤٣٩
السكر	٠ ٥٤٢ ٦٢٩	٠ ١٥١ ١٥٦	٣٩١ ٤٧٣
الذرة	٠ ٢٦٤ ٣٩٦	٠ ٠٠١ ٤٦٩	٢٦٢ ٩٢٧
الفول	٠ ٢٥٠ ٦٥١	٠ ٠٠٥ ٩١٩	٢٤٤ ٧٣٢
البيض	٠ ٣٦٦ ٣٣٦	٠ ٢٠٢ ٦٩٣	١٦٣ ٦٤٣
الكسب	٠ ٤٣٤ ٣٢٦	٠ ٢٧٩ ٨٩٥	١٥٤ ٤٣١
العدس	٠ ١٣٤ ٩٨٧	٠ ٠٠٣ ٤٧٩	١٣١ ٥٠٨
البزرة	٠ ٢٠٣٦ ٢٧٥	١ ٩١٨ ٠٣٨	١١٨ ٢٣٧
زيت القطن	٠ ٠٧٧ ٣٩٧	٠ ٠١٦ ٧٢٤	٠٦٠ ٦٧٣
الجلد	٠ ٢٦٨ ٦٨	٠ ٢٢٠ ١١١	٠٤٧ ٩٥٧
الصمغ	٠ ٠١٨ ٧٦١	٠ ٠١٣ ٨٢٥	٠٠٤ ٩٣٦
البصل	٠ ٣٤٨ ٤٩١	٠ ٣٤٨ ٣٧٨	٠٠٠ ١١٣

الصادرات المهمة التي نقصت قيمتها

القطن	١٥ ٥٣٩ ٧٩٨	١٦ ٧٤٨ ٢٧٤	١ ٢٠٨ ٤٧٦
الرز	٠٠ ٠٠٧ ٨٠٩	٠٠ ١٤٢ ٧٢٥	٠٠٦٤ ٧٠٦

وواضح من ذلك ان في طاقة القطر المصري ان يصدر جانباً كبيراً من حاصلاته الزراعية غير القطن اذا زادت عن مقطوعيته ولكن اذا كانت هذه الزيادة ناتجة عن تقليل المساحة التي يزرع فيها القطن فحصول القطن اثمن من حصول الحبوب الاَّ اذا ضرب القطن بدودة الفوز كما حدث في الموسم الاخير

ري القطن في مديرية الفيوم

جرت مصلحة الري على قاعدة غريبة في توزيع الماء الصيفي في مديرية الفيوم لم تبنها على حقيقة زراعية كأن لا علاقة لماء الري بالزراعة مطلقاً فامرت بان تجري مياه الري الصيفي في البحر من ابحر الفيوم عشرة ايام وتقطع عنهُ عشرة ايام وصنعت لكل صاحب طين فتحة يجري منها الماء الى اطيانهِ وقالت انهُ يجب ان يروي في العشرة الايام كل ما يحق لهُ زرعهُ من القطن. والغالب ان هذا الماء لا يكفي الاَّ خمس اطيانهِ فاذا كان يملك الف فدان فالماء الذي يصل اليهِ في العشرة الايام لا يكفي الاَّ لري ٢٠٠ فدان منها فاذا زرع ٣٠٠ فدان قطعاً اضطرَّ ان يترك ١٠٠ فدان منها من غير ري . ونحن قد خبرنا ذلك في بحر واحد من ابحر الفيوم وهو بحر سنهور ولا ندري أهو خاصٌّ بهِ او عامٌّ لكل البحور

ومما هو من الغرابة بمكان عظيم ايضاً ان المدة بين كل ريتين والتي تليها عشرون يوماً على الاقل كأن اطيان الفيوم المخدرة التي يتسرَّب الماء منها بسرعة اصلح لاحتمال العطش من اطيان الوجه البحري المنبسطة ولا ندري على اي قاعدة زراعية بنت مصلحة الري ذلك. اما نحن فانتبهنا منذ سنتين الى ان بعض المزارعين عندنا يجني الواحد منهم من فدان القطن اكثر من عشرين قنطاراً صغيراً (نحو سبعة قناطير كبيرة) وجارهُ الذي اطيانهُ مثل اطيانهِ تماماً وايجار الاثنين واحد لا يجني من الفدان اكثر من ١٢ قنطاراً صغيراً . وكنا نحسب ان الفرق بين الاثنين عائد الى الخدمة فقط اي الى الحرث والعزق والسماد فان الاول كان يحرث اطيانهُ مراراً قبل زرعها ويسمدها ثم يعزقها اربع مرات والثاني قلما يحرثها ولا يسمدها ولا يعزقها الاَّ مرتين ولكن بلغنا ان الاول لا يكتفي بارواء فدانهِ مرةً كل عشرين يوماً بل يرويهِ في اول ايام الري العشرة وفي آخرها ايضاً لقلة ما يزرعهُ فدانٌ من الاطيان التي يستأجرها فكأنهُ يرويهِ كل نحو عشرة ايام وهو ما يسمَّى عندهم تطييقاً

فرأينا ان ذلك محتمل ولاسيما بعد ما سمعنا ما يؤيدهُ عند غيرنا وقصدنا تجربتهُ فاخترنا

في العام الماضي قطعتين من حوض واحد متشابهتين تماماً تفصل بينهما سكة زراعة وامرنا ناظر زراعتنا ان يخدمها خدمة واحدة ويزرعها على اسلوب واحد تماماً ويروي احداهما مرة كل عشرين يوماً ويروي الاخرى كل نحو عشرة ايام اي في اول ميعاد الري وآخره ثم عرضنا على مستشار وزارة الزراعة ان يجرب ذلك ايضاً في اطياننا ولكنهُ لما رأى اننا اخذنا في تجربته اكتفى بها . وكان محصول القطن عندنا هذه السنة اقل من محصوله في العام الماضي بنحو عشرين في المئة لحرّ شديد اصابهُ وقت ازهاره ومع ذلك بلغ محصول الفدان الذي روي كل عشرة ايام ١٦ قنطاراً صغيراً والذي روي كل عشرين يوماً ١٢ قنطاراً فقط

ومن المحتمل ان فترة تسعة ايام وعشرة ايام قليلة وانهُ لو لكانت الفترة ١٤ يوماً او ١٥ يوماً لكان المحصول اوفر جداً ولكن ليس في امكاننا ان نجرب الاّ كما جربنا لان المياه لا تأتينا الاّ عشرة ايام من كل عشرين يوماً . فعسى ان تتولى وزارة الزراعة امتحان ري القطن هذه السنة في مواعيد مختلفة وفي اماكن مختلفة من مديرية الفيوم حتى يثبت لها بالامتحان اي المواعيد افضل من غيره . والمرجح عندنا انها ستجد ان الميعاد الافضل يتراوح بين ١٢ يوماً و١٦ يوماً فاذا فرضنا انهُ ١٤ يوماً وجعلت مواعيد الري سبعة ايام عمالة وسبعة بطالة وجب ان يزاد الماء حتى يكفي لري كل ما يزرع زراعة صيفية

زراعة القلقاس

نشرت وزارة الزراعة رسالة صغيرة في زراعة القلقاس وطبخهِ جاء فيها ما خلاصتهُ :

زراعة القلقاس في مصر ليست عامة اللهمَّ الاّ في جنوب الدلتا . وقد نجحت زراعتهُ في المنطقة المحصورة بين مدينتي دسوق وديروط . والقلقاس خير بديل للبطاطس اذ يقوم مقامها حتى القيام . ومن المستحسن تعميم زراعتهِ وازدياد نطاق المساحة المخصصة لهُ

ويتراوح المحصول الجيد من الفدان بين عشرة اطنان وثلاثة عشر طنّاً او تسعين قنطاراً ومائة وعشرة قناطير ويزن القنطار مائتين وستين رطلاً وقد يصل وزنهُ في الفيط الى ثلاثمائة رطل حسب درجة نظافتهِ . وينقص وزنهُ بنسبة اربعين الى خمسة واربعين في المائة تقريباً مما يزيلهُ التجار من قاعدة اوراقهِ الملتفة بعضها فوق بعض قبل بيعهِ ولا يزال من قشرتهِ الخارجية قبل طبخهِ . فاذا اعتبرنا ان اقصى ما يغلهُ الفدان عشرة اطنان يكون الصالح منها للاكل خمسة اطنان ونصف طن فقط . وهذا القدر الاخير يفوق محصول فدان البطاطس اذا قارنّاهُ بهِ لان المحصول الجيد من فدان البطاطس يبلغ خمسة اطنان على اكثر تقدير ونسبة ما يفقدهُ

من وزنهِ بعد اعدادهِ للطبخ يبلغ من عشرين الى خمسة وعشرين في المائة . وعلى هذا تكون غايةُ الصلاحة للاكل اربعة اطنان . والفرق ظاهر بين القلقاس

وخواص القلقاس الغذائية موضع البحث والنظر الآن في القطر المصري ولا نرى اوفق من ان نأتي هنا على نبذة مقتطفة من نشرة نشرتها مصلحة الزراعة في الولايات المتحدة للدلالة على خواص القلقاس حتى يقع لنا رأي خبير في هذا الموضوع قالت : « القلقاس والبطاطس متشابهان في التركيب غير ان كمية الماء في الاول اقل وبذلك تزيد فيهِ كمية البروتين والنشاء عما في الثاني بمقدار النصف تقريباً . والمشهور عن القلقاس انهُ سهل الهضم وكثيراً ما يوصف للمرضى في جزيرة هواي والبلاد الاخرى التي تزرعهُ »

وقد بلغ ثمن اقة القلقاس قرشاً في شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ . والبطاطس التليانية تباع في الازمنة الاعتيادية بمثل هذا السعر اما البطاطس الفرنسوية وبطاطس جزيرة قبرص فتباع بثمن اعلى . وثمنها عالٍ على الدوام حتى في ايام وفرة المحصول اما في وقت قلتهِ فيرتفع ثمنها كثيراً بطبيعة الحال . وما يفقدهُ القلقاس من الوزن اثناء اعدادهِ للاكل مساوٍ لما تفقدهُ البطاطس بعد قشرها

تكاثرهُ — يتكاثر القلقاس من « الفكوك » (اجزاء الرؤوس) على ان يحتوي كل فك او جزء على « زرّ » (عين) او اكثر . وكلما كبرت الاجزاء المغروسة كان نموّ النبات اقوى ويجب ان لا تجزأ الفكوك الصغيرة . ومن المستحسن ان يحتوي الجزء المقطوع من جوانب الرأس على زرّين واما الجزء المقطوع من نصف الرأس الاعلى فيكفي فيهِ الزر الفمي فقط

معدن الارض — يجود القلقاس في كل ارض خصبة صفراء حسنة الصرف

التقاوي — وقد اصطلح في العرف على اعتبار مساحة فدان القلقاس اربعمائة قصبة مربعة . ولكننا في هذه النشرة نعتمد على ان مساحة الفدان هي المساحة العادية وقدرها ثلثمائة وثلاث وثلاثون قصبة مربعة وثلث قصبة . ومبلغ ما تحتاج اليهِ زراعة الفدان من الفكوك الف وخمسمائة رطل (قنطار الفكوك يزن ٣٠٠ رطل) ومن الرؤوس ما يزن الفي رطل (قنطار الرؤوس يزن ٢٦٠ الى ٣٠٠ رطل)

إعداد الارض للزراعة — تحرث الارض ثلاث حرثات او اربعاً حرثاً عميقاً وتزحف بعد كل حرثة ثم تشق خطوطاً اربعة منها في القصبة الواحدة وتغرس الاجزاء او الفكوك (التقاوي) في حفر قرب قاع الخط عمقها من ستة سنتيمترات الى سبعة وبعدها بعضها عن بعض اربعون سنتيمتراً . وتروى حالاً رياً غزيراً

وقد يزرع مع القلقاس في وقت واحد مزروعات اضافية كالفجل والخيار والبطيخ والملوخية والفاصوليا . وفي بعض الاحيان تعد الارض وتروى في اواخر يناير وأوائل فبراير وحينما تجف جفافاً مناسباً تزرع فاصوليا . واذا كانت الارض سوداء لا تحتاج الى الري حتى يزرع القلقاس في مارس

وقت الزراعة — من اول فبراير الى منتصف شهر مايو

التسميد — القلقاس من اشد النباتات شرهاً للسماد فيتطلبهُ بكمية كبيرة وكثيراً ما حالت قلتهُ دون جودة المحصول . وقد سمدتهُ مدرسة الزراعة بالجيزة هذا العام بالسماد الآتي فبلغ المحصول من الجودة مبلغاً عظيماً

		عدد
٠٢٠	متراً مكعباً سماداً بلدياً	للفدان الواحد
٣٠٠	كيلو فوق فوسفات الجير	
١٠٠	« كبريتات النوشادر	
١٠٠	« البوتاسا	

واما في العام الماضي سنة ١٩١٤ فقد اكتفت بتسميده بالسماد البلدي فكان المحصول اقل من هذا العام . وبلغ ثمن محصول الفدان في العام الماضي اربعين جنيهاً اما في هذه السنة فقد قال ناظر المدرسة انهُ عرض عليهِ خمسة وخمسون جنيهاً ثمن محصول الفدان مع قيام المشتري بحصاريف القلع

وفي حالة اقتصار الزارع على تسميد ارضهِ بالسماد البلدي يضع في الفدان من مائتين الى مائتين وخمسين حمل جمل . ثلثيها قبيل الخرثة الاخيرة والباقي بعد نمو النبات

خدمة الارض بعد الزرع — تعزق الارض وتنقى الاعشاب منها من وقت الى آخر وعند ما يقلع المحصول الاضافي تسمد ثانياً كما تقدم ويلف القلقاس بالتراب من الجانبين حتى تصير النباتات في وسط المصطبة بعد ان كانت في قاع الخط

الري — يحتاج القلقاس الى ماء كثير في جميع ادوار حياتهِ . في الارض الخفيفة خفة متناسبة يروى بعد الرية الاولى (عقب الزراعة) كل خمسة عشر يوماً . وعند ما تبتدئ النباتات الصغيرة في النمو تصير المدة بين الريات عشرة ايام . وكلما قصرت المدة بين الرية والاخرى . وفي المدة الاخيرة التي يبلغ فيها تمام نموهِ يروى كل ستة او سبعة ايام

والقلقاس يشغل الارض مدة تختلف بين ثمانية شهور وعشرة ويجتى المحصول الذي القنت خدمتهُ في شهر اكتوبر ولكن في هذا الوقت لا تبلغ الرؤوس نهاية حجمها . ولا يمكن الحصول على اقصى الغلة الاَّ في شهر دسمبر

ويقام الزارع رؤوس القلقاس و يبيعها بالوزن او يبيعها للتاجر وهي في ارضها . ويقوم التاجر بمصاريف القلع . والعامل النشيط يستطيع قلع قنطار ونصف في اليوم مع تجهيزها للسوق ويأخذ اجرة على كل قنطار اربعة قروش — اذا كان المحصول كبيراً — وثمن القنطار (وزنهُ ٢٦٠ رطلاً) في السوق من خمسين قرشاً الى خمسة وسبعين

حفظ الرؤوس للتقاوي — لحفظ الرؤوس لزرعها في العام التالي طريقتان : (الاولى) ان تحفر لها حفرة قليلة العمق وتوضع فيها وتغطى بطبقة سميكة من الرمل الرطب . ويجب حفظهُ رطباً لانهُ اذا جفت الرؤوس لم تصلح للزرع والانبات . (والثانية) ان يترك بعض المحصول مغروساً في الارض حتى يأتي ميعاد زرعهِ فيقلع ويزرع

القطن المصري واسعارهُ

قرر توسيون كنترانات القطن في بورصة الاسكندرية في آخر دسمبر الماضي اجراء تصفية غير اعتيادية في الكنترانات لبلوغ الفرق في اسعارها بعد آخر تصفية فيها خمسة اثمان الريال وذلك بالاسعار التالية

يناير	١٩ $\frac{٥}{٣٢}$	من الريال
مارس	١٩ $\frac{١٨}{٣٢}$	»
مايو	١٩ $\frac{٢٨}{٣٢}$	»
نوفمبر	١٩ $\frac{٠}{٣٢}$	»

وعليهِ فاسعار القطن قد بلغت مبلغاً يرجى الربح لهذا القطر من ورائهِ . ولكن طيف دودة لوز القطن ودودة بزرتهِ لا يزال يتردد امام العيون ويرعب من امَّل من قطنهِ سبعة قناطير وثمانية قناطير من الفدان فلم يجنِ منهُ سوى قنطارين او اقل . فاذا ظهر هذا الدود في عامنا الحاضر ولعل ما فعلهُ في العام الماضي فلا مندوحة لمحكومة عن ان تنتش عن مرض يقع بهذا الدود و يميتهُ حتى يستأصل مع استعمال الوسيلة التي اشارت بها وهي تبخير البزر حتى يموت ما فيهِ من الدود

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحقناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتحميداً للاذهان. ولكنَّ النهضة في ما يندرج فيه على اصحابه فنحن براءٌ منه كلَّ البراءة ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاتب الغلاط غير عظيماً كان المعترف بالغلط اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوَّلة

التنويم المغنطيسي والانباء بالغيب

جاءتنا رسائل كثيرة من قرَّاء المقتطف في هذا الموضوع يضيق المقام عن نشر شيءٍ منها في هذا الجزء

وكلها مبني على ما اوردناهُ في الجزء الماضي من المقتطف جواباً عن السؤال الثامن عشر. والظاهر ان اصحاب هذه الرسائل حسبوا اننا ننكر التنويم المغنطيسي بانكارنا الاعمال التي انكرنا صحتها. والصواب اننا لا ننكر التنويم المغنطيسي بل نحن نمارسهُ احياناً وقد نومنا بعض الناس غير مرة ولكننا ننكر كل الانكار أن الذين يقفون في بعض المشاهد ويكشفون المخبآت وينبئون بالغيب يكونون نائمين التنويم المغنطيسي بل بدلنا لاختبارنا واختبار غيرنا على انهم مشعوذون او شركاء للمشعوذين يتناومون لكي يخدع المشاهدون بحيلهم. وقد فاتنا ان نذكر ذلك صريحاً في جوابنا عن السؤال المشار اليهِ آنفاً

وسننشر رسالة او اكثر من هذه الرسائل في الجزء التالي ونجيب عمَّا فيها

حقيقة المندل

حضرات العالمين الفاضلين منشئي المقتطف

حضر احدهم اليَّ وقال انهُ مربوط بعمل من السحر وانهُ عرض امرهُ على بعض الاطباء فلم يستطيعوا مداواتهُ لقلة اعتقادهم فيهم. فتوجه الى احد الدجالين ليعمل لهُ المندل ويداويهُ وطلب مني ان ارافقهُ الى هذا الدجال

فتوجهت معهُ الى الدجال فوجدتهُ يناهز الخمسين ومعهُ تلميذ وعمرهُ نحو اربعة عشر عاماً

فبعد ما استرحنا قليلاً طلب المصاب من الدجال عمل المندل حسب الاتفاق السابق معهُ لشفائهِ من مرضهِ ونقدهُ خمسين قرشاً

فاحضر الدجال فنجالاً من الخزف فيهِ شيءٌ من الزيت ثم احضر دفّاية من الفخار واوقد فيها فحم الحطب ووضع فوق الفحم المشتعل جانباً من البخور وجعل يتلو عزايم واقساماً مدة نصف ساعة والفنجال امامهُ . ثم قال لتلميذهِ انظر ما في هذا الفنجال واخبرني عما تراهُ فيهِ فنظر التلميذ في الفنجال ثم قال رأيت بعض الجن واقفين قال لهُ الدجال اصدر اليهم امري بالكنس والرش على الارض التي هم فيها ثم قل لهم ان يحضروا خيمة الجلوس وينصبوها بفرشها ومقاعدها فقال التلميذ جميع ما لقّنهُ اياهُ الدجال ثم نظر في الفنجال وقال كل شيء جهز ونصبت الخيمة بمفروشاتها ومقاعدها وان ملك الجن حضر هو واتباعهُ وجلس كل حسب مرتبتهِ داخل الخيمة

فتقدمت انا ونظرت في الفنجال ثم قلت للدجال انى ما رايت في الفنجال سوى الزيت لا غير فقال ان الذي يتجاوز عمرهُ الخمسة عشر عاماً لا يمكنهُ ان يرى شيئاً في الفنجال ولهذا السبب احضرت هذا التلميذ القاصر معي لان عمرهُ دون سن الرشد وكل قاصر مكشوف لهُ الحجاب ويمكنهُ رؤية ما رآهُ هذا التلميذ فاحضرت صبيًّا قاصراً عمرهُ مثل عمر تلميذ الدجال فنظر في الفنجال وقال انهُ لم يرَ فيهِ غير الزيت . فتعجبت الدجال وكابرنا وقال ان دم هذا الصبي زفر والذي دمهُ زفر لا يمكنهُ رؤية الجن

ثم قال الدجال لتلميذهِ قل لملك الجن ان فلاناً الحاضر في هذا المجلس مصاب بالربط بعمل من السحر والرجاء حل عقدهِ وشفاؤهُ من دائهِ فقال التلميذ ما لقّنهُ اياهُ الدجال ثم وضع أذنهُ على حافة الفنجال ليسمع جواب ملك الجن فوضعت انا والصبي اذنينا على حافة الفنجال فلم نسمع شيئاً ولكن التلميذ قال يقول ملك الجن ان المصاب مربوط بعمل من السحر ورباطهُ موضوع في تُربَة مهجورة وهو خيوط من الشَّعر عقدت على مقصّ في الجهة الغربية من المدفن الفلاني داخل التُّربَة المهجورة ثم توجهت انا والمصاب والدجال وتلميذهُ الى المدفن المشار اليهِ فلقينا في الجهة الغربية تُربَة مهجورة وبعد البحث فيها حسب ارشاد الدجال وجدنا عمل السحر كما قال من خيوط الشَّعر الأسود عقدت على مقصّ ولما فككناها عن المقصّ قال الدجال الآن شفي المصاب من دائهِ . فاعتقد المصاب اعتقاداً تاماً بانهُ شفي وبعد يومين قابلني وقال انهُ زال عنهُ هذا المرض وان عقدة الربط حلت بحل الشعر عن المقصّ الذي وجدناهُ داخل التربة المهجورة

ولكني بعد البحث الكثير علمت ان هذا الدجال يتوجه مع تلميذهِ الى بعض التُّرب او القبور المهجورة ويضع فيها خيوط الشعر معقودة على المقص الى حين الحاجة ثم يفري حذا

الاشقياء واغلبهم من الفقهاء الفاسدين ليتوجه الى بعض البسطاء او المغفلين ويوهمهُ بانهُ مسحور بعمل من السحر وانهُ يمكنهُ التوجه الى من يعرف صناعة المندل فيشفيهِ فيعتقد ذلك المغفل انهُ معقود ثم يعتقد انهُ شفي

احمد السيد

تبع قسم كرموز باسكندرية

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ الآداب العربية

هو سفر جليل في نحو ٧٠٠ صفحة تأليف احد اخوة المدارس المسيحية المسماة بالفرير خص فيهِ تاريخ الآداب العربية منذ نشأتها الى الآن بذكر الذين اشتهروا من ارباب الانشاء كالشعراء والعلماء وكبار المنشئين فترجم فيهِ اكثر من ٣٠٠ عالم وشاعر ومنشئ وذكر طرفاً من سيرة كلٍّ منهم واشعارهِ وبليغ كلامهِ وتاريخ وفاتهِ بالحساب المسيحي والهجري والحق كل صفحة بحاشية فسّر فيها ما في الصفحة من الكلام اللغوي . وقطع الكتاب معتدل وطبعهُ حسن

ونحن قلما ننتقد كتاباً الاَّ اذا وثقنا ان مؤلفهُ يرحّب بالانتقاد او كان في الكتاب اغلاط فاضحة الاغضاء عنها يجلب الضرر على قرائهِ

ويظهر لنا ان مؤلف هذا الكتاب من واسعي الصدر الذين يرحبون بالانتقاد . وكتابهُ على حسن تبويبهِ وترصيفهِ يراهُ يستدعي الانتقاد في ثلاثة امور غير جوهرية في نظرنا لانها لا تمس جوهر الكتاب وفي امرين جوهريين . الاول من الامور غير الجوهرية التعرض لعقائد بعض الرجال الدينية فان الكلام على العقائد ليس من موضوع الكتاب . واذا رأى المؤلف ان يتعرّض لها لان مذهبهُ يوجب عليهِ ذلك فتسعة وتسعون في المئة من الذين ذكر ترجمتهم يخالفونهُ في المذهب وينكرون اهم اركان دينهِ ولكنهُ خص اثنين منهم بالذم لفساد العقيدة ابا العلاء المعري وعمر الخيام فقال عن المعري انهُ « لم يرَ في اختلاف مذاهب العبادة سوى اسباب لاحتقار الآخذين بها » وقال عن عمر الخيام « انهُ كان واهي العقيدة دهري المذهب مرميًّا بالالحاد والتعطيل يثير زندقتهُ تحت براقع التمويه من القول بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية وتحدث بكفرهِ وفساد آرائهِ وكادت

لتهتك استار دهائه ورثائه فخشي على دينه وامسك من عنان لسانه وقلمه وحج تضليلاً للعقول»

ولا ندري ما الفرق لدى خادم الدين المسيحي المؤمن بتعاليم الكنيسة بين الدهريين وناكر التثليث وناكر الوهية المسيح

ومن الغريب انهُ لما ذكر المتنبي انحى عليهِ باللوم لادعائهِ النبوة وهو ليس من موضوع الكتاب ولكنهُ لم يلهُ على ابياتهِ السمجة في قصيدتهِ التي ذمَّ بها ابن كيغلغ وهي من موضوع الكتاب بل قال انهُ « كان وقوراً رصين المقال لا ينطق بالكذب والهزل »

هذا ولا ندري ايضاً ما حشر عُمر الخيام بين شعراء العرب فانهُ فارسي وشعرهُ المشهور فارسي ولم يروَ لهُ في العربية الاَّ اربعة ابيات واملها مترجمة من الفارسية . وقد قرأنا ترجمة فتزجرلد لبعض رباعياتهِ وجانباً من ترجمة جنصن باشا لها فلم نجد فيها شيئاً يدل على انهُ كان زنديقاً او ملحداً او دهرياً بل هو على الضد من ذلك موحّد يعترف بوجود الله وقد ترجمنا بعض اشعارهِ عن ترجمة فتزجرلد ونشرنا ترجمتنا وترجمة وديع افندي البستاني في مقتطف مارس سنة ١٩١٢ قال وديع افندي

نحن تلك الكرات والخيّال هو رب القضا وهذا المجال

وقنا نحن وربُّ الصوالج يدري مسير كرات رماها بقصد ارتياض

وقلنا في ترجمة رباعية اخرى

يراها الالهُ الذي قد برانا فشكراهُ غنم وفرض علينا

وذلك دليل قاطع على ان الخيام لم يكن دهرياً كما رماهُ حضرة المؤلف

والذين تمعنوا في رباعيات عمر الخيام من الانكليز والاميركيين رجالاً ونساء انشأوا حلقات لمطالعتها وهم يجلّون مقامهُ ويفضلونهُ على كل الذين حاربوا اهل الاوهام والخرافات وسالبي اموال الناس بحجة الدين

والثاني قلة الانصاف احياناً فاذا ذكر المرسلين الاميركيين الذين منهم الدكتور فان ديك ذكرهم « خافٍ » واذا ذكر الجزويت قال اليسوعيون الافاضل . واذا ذكر الروم الارثوذكس قال الروم غير الكاثوليك كأن كلمة ارثوذكس (اي مستقيمي الرأي) اثقل على طبعهِ وافرد سطرين للكلام على المطبعة الاميركية في بيروت ونصف صفحة للمطبعة الكاثوليكية . وذكر مطابع الفرنسيسيين في القدس ولم يذكر مطبعة الارثوذكس . الى ان قال « ومن هذه اللمحة الخفيفة التي القيناها على تاريخ الطباعة يتضح جلياً لكل ذي عينين ما لرجال الدين الكاثوليكي من المآثر الغراء والمساعي المشكورة في تمهيد السبل لهذهِ النهضة الشريفة وتوفير

اسبابها الخ » اما الروم الارذكس والبروتستانت فشأنهم صغير في عينيهِ على ما يظهر وقلما ذكر احداً من نوابغهم واذا ذكر غيرهم وضعهم في السماء السابعة ولو لم يكن بعضهم على شيء يؤهلهُ للذكر في هذا الكتاب

الامر الثالث قلة التدقيق احياناً في ما يسهل التدقيق فيهِ . فلما ذكر المقتطف مدحهُ مدحاً نشكرهُ عليهِ اجزيل الشكر ولكنهُ اضاف الى اسمي منشئهِ اسم اخينا المتوفى شاهين مكاريوس وسماهُ ابكار يوس وابكار يوس رجل آخر وهو مؤلف القاموس الكبير الانكليزي والعربي والتاريخ المسمّى قطف الزهور ولكنهُ لم يذكرهُ مع غيرهِ من المؤلفين . ومما يدل على قلة تدقيقهِ ايضاً ما نسبهُ الى المقتطف من انهُ « يصوب سهام الطعن والوقيعة الى العقائد المقدسة بدعوى العلم وحرية البحث » . فاننا نؤكد لحضرتهِ انهُ لو طالع مجلدات المقتطف كلها من اولها الى آخرها ما وجد فيها طعناً ولا وقيعة بعقيدة مقدسة لاننا من احرص الناس على احترام العقائد . وهذه الهنات يسهل اصلاحها في الطبعة الثانية من الكتاب

هذا من قبيل الامور غير الجوهرية التي لا تمسّ جوهر الكتاب في نظرنا اما الامران الجوهريان فاولهما ادخال كثيرين من الذين لا شأن لهم في تاريخ الادب فاننا نفهم بتاريخ الآداب العربية تاريخ الشعر والانشاء والمشهورين من الشعراء والمنشئين الذين يقوم بهم تاريخ الآداب العربية كامرىء القيس والمتنبي والجاحظ والحريري واليازجي والشدياق والبستاني للدلالة على سهم كلٍّ منهم في الآداب العربيَّة . اما سائر المؤلفين من المؤرخين والاطباء والفلاسفة والمترجمين فلا نرى موجباً لذكرهم في هذا الكتاب

والثاني ان تاريخ علم من العلوم يجب ان يدور على تدرُّج ذلك العلم سواء كان في التقدُّم او التأخُّر او البقاء على وتيرة واحدة . فاذا ألَّفنا كتاباً في تاريخ الطب وجب ان نأتي فيهِ بما يدلُّ على نشوء الطب وتدرجهِ الى ان بلغ الدرجة التي وصل اليها الآن ونذكر الاطباء الذين انشأوا صناعة الطب ورقّوها للدلالة على نصيب كلٍّ منهم فيها . وقس على ذلك تواريخ كل العلوم والفنون فاذا كانت الآداب العربية قد وجدت وتدرَّجت وترقت فلها تاريخ يستحق ان يُكتب حتى يعلم من يطلع عليهِ كيف نشأت وكيف تدرجت في سبيل الارتقاء . وفي هذا الكتاب شيء من ذلك في فواتح فصولهِ المختلفة ولكن الاختصار في هذه الفواتح والاسهاب في ذكر الرجال وعدم الاشارة فيما يستشهد بهِ من اقوالهم الى انهُ مثال جيء بهِ لتأييد القضايا التي ذكرت في الفاتحة كل ذلك يصرف الذهن عن الغرض الجوهري المقصود بالذات وهو تاريخ الآداب الى غرض آخر عرَضي وهو تاريخ الادباء انفسهم

ولكن ينازع قوم في ان الآداب العربية تاريخاً اي تدرُّجاً من حال الى حال ويقولون ان الانشاء العربي وضعت اصولهُ منذ الف وثلثمائة سنة بل قبل ذلك وان البليغ من شعر عصرنا هذا يجب ان لا يفرق عن شعر امرء القيس والبليغ من انشاء كتَّابنا الآن يجب ان لا يفرق عن انشاء عبد الحميد . ولا يظهر ان المؤلف من هذا الرأي فلهذا لو بنى كتابهُ كلهُ على هذه القضية واثبتها بايضاح تاريخ الاداب العربية من اول نشأتها الى الآن والدرجات التي مرَّت عليها واسباب هذا التدرج ولهُ الفضل على كل حال

الرمد في القطر المصري

صدر التقرير السنوي الثالث عن معالجة داء الرمد في القطر المصري سنة ١٩١٤ وفيهِ انهُ انشئ في القطر بين سنة ١٩١٤ و ١٩١٤ ستة عشر مستشفًى في اماكن مختلفة من هذا القطر واثنان من هذه المستشفيات ينفق عليهما من ريع الهبة التي وهبها السر ارنست كاسل وهي اربعون الف جنيه . واثنان آخران تنفق عليهما مجالس المديريات وثمانية تنفق عليها الحكومة واثنان انفلا لقلة النفقات . وقد كلَّف انشاء هذه المستشفيات ٦٨ الف جنيه دفعت منها الحكومة ١٧ الفًا والباقي وهو ٤٩ الفًا جاء من الهبات والاشتراكات ومما دفعتهُ مجالس المديريات

وقد وجد بالاختبار انهُ يمكن ان يبنى مستشفى دائم للرمد باربعة آلاف جنيه ويكون كامل العدة كافيًا لستة عشر مريضًا ينامون فيهِ ولكل المرضى الذي يأتون للعلاج ولو بلغ عددهم ٢٠٠ او ٣٠٠ يوميًّا

وتوجد المستشفيات الدائمة الآن في البحيرة والغربية والمنوفية والدقهلية والشرقية والفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسوهاج ولكنها لا توجد في القليوبية ولا في الجيزة ولا في قنا ولا في اسوان . وجيدًا لو اعتمَّ المزارع الكبير صاحب السعادة ابرهيم باشا مراد ببناء مستشفًى للرمد في القليوبية ووقف عليهِ ما ريعهُ كاف للقيام بنفقاته او بنصفها . واعتمَّ غيرهُ من اغنياء المديريات الاخرى بانشاء مستشفيات فيها فان عدد المصابين في عيونهم كثير جدًّا . ويقال في هذا التقرير انهُ عُمل في غضون السنة اكثر من اربعين الف عملية في العيون . وقد بلغ عدد الذين فحصت عيونهم ٣٩٨ ٧٥ وعدد الذين عولجوا منهم ١٢٦ ٥٠ . ومن الذين فحصت عيونهم وجد ٣٥٩١ من العمي و ٦٤٢٥ من العور . وبلغ عدد المرات التي تردد فيها المستشفون على المستشفيات ٦٨٦ ٠١٢

باب المسائل

فهذا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل النشر يجب باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره مسائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) اي الاعمال اصلح

اجادتهلية . لبيب افندي رمزي .

بماذا تشيرون على والد مصري يريد تربية ابنه هل يعده للزراعة ولا اطيان له او للصناعة وانتم تعلمون حالتها عندنا او للتجارة ولا رأس مال له او للاستخدام ولا يخفى صعوبة طريقه فضلاً عما فيه من الذلة والقضاء على المواهب

ج . الغالب ان يظهر في الولد ميل طبيعي الى عمل من هذه الاعمال فعلى والده اذا استحسن هذا الميل ان يقويه فيه ويعده له ثم يدخله فيه . اتانا بالامس شابٌّ وقال يظهر لي انكم لم تعرفوني فقلنا كلاَّ فقال « انا كنت من العمال الصغار في مطبعتكم منذ سبع عشرة سنة وكان راتبي خمسة غروش في اليوم وقد تعلمت اللغة الفرنسوية بعد ذلك في مدرسة ليلية واتقنتها وتعلمت التجارة ومسك الدفاتر في مدرسة ليلية اخرى واستخدمت في محل تجاري كبير وراتبي فيه الآن عشرون جنيهاً اعيش منها بالراحة مع زوجتي وصرت من المدرسين في مدرسة التجارة وتعلمت الحقوق في المدرسة الفرنسوية لكي استعين بالمعارف القانونية في اعمالي التجارية » . والفقر لم يمنع مجتهداً من تسنم اعلى المراتب . ولا نرى موتاً لما نبذتم به الاستخدام فان المستخدم المجتهد الامين يفيد ويستفيد ويرقى من المناصب ما لا يرقاه غيره

(٢) مدرسة تعلم الطب للبنات

ومنه . هل في القطر المصري مدرسة سواء كانت اميرية او اهلية تعدُّ الفتيات لنيل شهادة الطب العالية

ج . كلاَّ

(٣) ناموس طبي عربي

ومنه . وهل تعرفون ناموساً طبياً في العربيَّة على نسق القواميس الافرنجيَّة الموضوعة لذلك

ج . كلاَّ

(٤) راتب ملك البرتغال

ملوي . زكي افندي ناشد سركيس .

قرأنا في المقطم الصادر في ١٦ دسمبر ان بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا كانت تدفع

كلٌّ منها لملك اليونان اربعة آلاف جنيه في السنة وقد قال وزير خارجية انكلترا ان هذه الدول الثلاث كفّت عن دفع المبلغ المذكور منذ وفاة الملك جورج (اليوناني) فنرجو التكرُّم بافادتنا عن تاريخ هذه الهبة واسبابها وما سبب حبسها عن ملك اليونان الحالي

ج . لما اختارت الجمعية العمومية اليونانية ابن ملك الدنمارك ملكاً على اليونان سنة ١٨٦٣ قطعت لهُ راتباً سنوياً مقدارهُ ١١٢٥٠٠٠ دراخمهُ اي نحو ٤٣ الف جنيه فتبرعت كلٌّ من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا باربعة آلاف جنيه زيادة على هذا الراتب حتى يصير ٥٢ الف جنيه وذلك قصد المساعدة لا غير . والظاهر انهن قصدن حينئذٍ ان تكون هذه المساعدة خاصّة بالملك جورج ما دامت بلاد اليونان صغيرة فقيرة فلما توفي واتسعت بلاد اليونان بما ضمَّ اليها من املاك تركيا رأين ان يقطعن هذه الاعانة عن ملكها الحالي

(٥) الغسل بالماء البارد

ومنهُ . هل الايد صحيًّا لابن وادي النيل ان يغسل وجههُ ورأسهُ صباحاً في فصل الشتاء بالماء البارد او بالماء الفاتر وكم تقدار الفترة بين القيام من النوم وغسل الوجه والرأس

ج . الغرض الاول من غسل الوجه والرأس النظافة فالماء الفاتر اصلح لها من البارد ولا بدَّ من استعمال الصابون في الحالين . ثم اذا كان الماء بارداً وحدث بعدهُ رد فعل كما يحدث غالباً وامكن الاكثار من الصابون فهو مفيد كالماء الفاتر او افيد منهُ ولكن اذا لم يحدث بعدهُ ردُّ فعل ولا بالفرك بالمناشف فالماء الفاتر افيد . ولا ضرر من غسل الانسان وجههُ حالاً بعد القيام من النوم ولا فائدة من التأخير

(٦) دواء لتحسين الصوت

طنطا . محمد افندي حمدي . ارجو التكرُّم بافادتي عن دواء او علاج لتحسين الصوت او الاوتار الصوتية لان صوتي حتى في الكلام العادي اراهُ خشناً جافاً كصوت الشيوخ مع صغر سني

ج . يظهر لنا من سرِّ الكم ان في اوتاركم الصوتية شيئاً من الغلظ او الارتخاء ونرجح انكم تستفيدون من اراحة صوتكم وتوسيع صدركم بالرياضة اليومية اي بالوقوف امام شباك يومياً واستنشاق الهواء النقي ومحاولة توسيع الصدر بهِ بالاقتباس بعد نفخهِ . ومعالجة الحلق باستنشاق كلوريد النشادر والغرغرة بمذوب كلوريد البوتاسيوم او مذوب الملح والدهن بصبغة اليود . والافضل ان تقصدوا طبيباً اختصاصياً بامراض الحنجرة ليعالجكم . ومتى وضعت الحرب اوزارها فاقصدوا بلاداً هواؤها حار معتدل الرطوبة خالٍ من الغبار كبعض سواحل سورية واقيموا فيها بضعة اشهر فقد يصطلح صوتكم بذلك

(٧) دواء للشيب

مصر . أسعد افندي سرحان . لقد تفضلتم بنشر عدة وصفات لتقوية الشعر في مقتطف يوليو الماضي فهل تتكرمون بافادتنا عن وصفات اخرى تزيل الشيب خصوصاً اذا كان في اوائله

ج . لا دواء للشيب ولا علاج لهُ ولا يخفيهِ غير الصبغات المعروفة فانها تلون الشعر الشائب بلون اصفر او اشقر او اسود حسب نوعها ولكن هذا اللون يزول رويداً رويداً والشعر الشائب يطول من اصولهِ كما يطول غيرهُ فما يطول منهُ يكون ابيض

(٨) دخل الامم وثروتها

دمياط . مصطفى افندي اللوزي . كيف يحصى دخل الامم وثروتها

ج . ان الحكومات الاوربية والاميركية تضرب على رعاياها ضريبة تسمّى ضريبة الايراد تؤخذ منهم سنوياً ويضطر كل واحد ان يخبر الحكومة بمقدار ايرادهِ السنوي او هي تقدّرهُ تقديراً واذا ادّعى احد انها قدّرت دخلهُ باكثر مما هو حقيقةً اضطرّ ان يطلعها على دفاترهِ وكل المستندات التي يُعلَم منها مقدار دخلهِ بالتدقيق وبذلك يعرف دخل الناس بما يمكن من التدقيق . وفيها ايضاً ضريبة اخرى هي ضريبة التركات وبموجبها تحصر تركات كل الذين يموتون سنوياً . وعدد الذين يموتون سنوياً جزء محدود من عدد السكان فاذا كان متوسط العمر في بلاد اربعين سنة جزءٌ من اربعين من السكان يموت كل سنة فاذا بلغ مجموع تركات الذين يموتون في السنة في فرنسا ثلثمائة مليون جنيه مثلاً وكان متوسط العمر فيها اربعين سنة فهذا المبلغ هو جزء من اربعين من ثروة اهالي فرنسا وعليهِ فالثروة ٤٠ × ثلثماية مليون اي ١٢ الف مليون جنيه

(٩) اصل العوالم

الاسكندرية . الشيخ احمد ابو علي امين مكتبة الاسكندرية . لماذا وجدت هذه العوالم ولمَ خُلق الانسان واين كانت مادة العوالم قبل خلقها

ج . ان علوم الانسان لا تصل الى حل هذه المسائل ولكن اهل الفلسفة لا يعسر عليهم ان يفرضوا لها اجوبةً مختلفة مبنية على ما يرى في العالم المادي فيقولون ان الله اوجد العوالم لتمجدهُ او لتدلّ على قدرتهِ بناء على ما يظهر فيها من احكام الصُنع البديع ولأن الصانع الحكيم لا بدّ لهُ من غرض يوخاهُ من اعمالهِ لئلاّ تكون من قبيل العبث . وان مادة الكون غير قديمة والاّ شاركت الله في الازلية فاوجدها الله من العدم

(١٠) اقوى المكروسكوبات

ومنهُ . كم تكبر اقوى المكروسكوبات الاشياء عن حجمها الطبيعي

ج . تكبّر قطرها التي مرة الى ثلاثة

آلاف فاذا كبرتهُ الف مرة فقط فيكون السطح قد كُبّر مليوني مرة اي ان ما سعتهُ سنتمتر مربع تصير سعتهُ مئتي متر مربع

(١١) المقتطف الصغير

ومنهُ · ما هو المجلد الصغير من المقتطف ولماذا اصدر نموهُ

ج · كان في الجزء من المقتطف عند أول صدوره ٢٤ صفحة وفي السنة السادسة زدنا حجمهُ فجعلناهُ ٦٤ صفحة وزدنا ثمنهُ ايضاً ولكننا جعلنا نطبع من كل جزء جزءاً نجذف منهُ بعض الفصول العلمية والادبية ونبقينا ثمن هذا الجزء الصغير رخيصاً كما كان وواظبنا على ذلك الى آخر السنة الثامنة فكل سنة من السنوات السادسة والسابعة والثامنة من المقتطف مجلد كبير ومجلد صغير مختصر من الكبير

(١٢) المكاتب العمومية

ومنهُ · من اول من انشأ المكاتب العمومية ومتى كان ذلك

ج · المرجح ان مصر سبقت غيرها الى انشاء المكاتب العمومية وذلك منذ نحو ستة آلاف سنة وكانت مكاتبها سجلات لاعمال ملوكها وتعاليم كهنتها ووصف البلدان التابعة لها

باب الاخبار العلمية

وفيات الاعلام

بين مشاهير المتوفين في اواخر السنة الماضية الاستاذ بوشار الفرنسوي استاذ الباثولوجيا في جامعة باريس وبين تلاميذهِ كثيرون من اطباء هذا القطر · وقد عرفهُ المصريون شخصيًّا عند اشتراكهِ في المؤتمر الطبي الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٠٢ · ولد سنة ١٨٣٧ فيكون عمرهُ عند وفاتهِ نحو ٧٨ سنة · وعين استاذاً للباثولوجيا في الجامعة المذكورة سنة ١٨٧٣ · وفي ١٨٨٧ عين عضواً في المجمع العلمي المعروف (الانستيتو) · وبعد ذلك انعم عليهِ بشان الجيون درتور والتخب رئيساً لاكادمية العلوم الفرنسوية · ومن اشهر مؤلفاتهِ كتاب في الباثولوجيا يعلّم في مدارس الطب الفرنسوية اينما كانت

ومنهم المستر بوكر وشنطن العالم الزنجي ورئيس المجمع العلمي للزنوج في تسكجي بولاية الاباما · وقد دأب في تعليم الزنوج

قومهِ وجعل همّهُ رافع شأنهم الادبي والعلمي فعاد سعيهُ بفائدة لا تقدر من هذا الوجه . وكان عمرهُ عند وفاتهِ ٥٦ سنة وقد نشرنا ترجمتهُ وترجمة زوجتهِ وصورتيهما في المجلد الرابع والعشرين من المقتطف تحت عنوان « الفاضل فاضل ولو عبداً اسود »

ادراك النبات

صدر كتاب بالانكليزية في علم النبات لمؤلفهِ المستر دكسون قال فيهِ : ان النباتات تبصر وتسمع وتذوق وتشعر وتمشي وتصيح وتركض وتطير وتثب وتنصب الشراك وتصيد الاسماك . وتزين انفسها قصد اجتذاب الانظار اليها و « تيودر » وجوهها « اي تمسحها « بالبودره » . ولقاح الطيور والأفاعي والحجارة . وتلعب بعض الالعاب التي يلعبها اولادنا . وتحمي صغارها ثم تزوجهم في معترك العالم حيث يعتنون بانفسهم ويعملون جميع الاعمال التي نعملها نحن »

قالت مجلة ناتشرفي نقد هذا الكتاب : ولا نلوم المؤلف على حسبان النباتات احياء عاقلة — فان حجج انصار هذا المذهب قوية — ولا على قولهِ ان حواسها سبع ولا على اشارتهِ الى عقولها ونفوسها . بل نلومهُ لان اقوالهُ هذه تحمل السامع على الظن ان النباتات تتصرف في شؤون هذه الحياة الدنيا تصرُّف الآدميين . وهذا ليس بصحيح فان هذا التصرّف ابعد عن القوة المدركة التي تميز الانسان عن سائر الاحياء من السليقة التي خُصّ بها الحيوان »

صوت المدافع

يظهر من اقوال بعض كتاب الانكليز ان صوت المدافع في البلجيك يسمع في بعض قرى انكلترا القريبة من الساحل الجنوبي والشرقي . فقد كتب احدهم يقول انهُ سمع صوت المدافع التي تطلق في ايبر من منزلهِ في تشلمفورد والبعد بين المكانين ١٤٠ ميلاً

وكتب آخر رسالة قال فيها : يصعب عليَّ ان اقول هل اسمع اصواتاً تدخل الاذن او اشعر بهزات تعروجسمي كلهُ . والحق يقال ان ما اشعر بهِ هو اقرب الى الاهتزاز والارتجاج منهُ الى سماع الاصوات »

اميركا صيدلية نفسها

انشأت السيتفك اميركان مقالة بهذا العنوان وصفت فيها المعرض الوطني الذي اقيم في نيو يورك في سبتمبر الماضي للصناعات الكيماوية . ومما قالتهُ فيها ان هذا المعرض يدل اجلى دلالة على تقدم صناعة المواد الكيماوية والعقاقير والاصباغ في اميركا بعد حصر المانيا البحري ومنعها من اصدار هذه المواد الى الخارج . ولهذا المعرض ثلاثة فروع : الاول ما اختص بالمواد الكيماوية

والمعادن والعقاقير والاصباغ وما اشبه . والثاني ما اختص بالادوات والعدد اللازمة للعامل الكيماوية . والثالث ما اختص بالآلات اللازمة للعامل والمصانع الكبرى التي تصنع الادوية وتستخرج المعادن وما شاكل ذلك . ومن اهم معروضات المعرض مواد مستخرجة من بزر الكرز والزبيب والشمش

نيزك هائل

ظهر في الجنوب الغربي من انكلترا نيزك هائل وصفهُ بعضهم بقولهِ : رأى النيزك كثيرون . ومعظمهم شاهدوا في يادئ الامر نوراً اضاء بهِ الجوّ والارض فالتفتوا ليعلموا سبب ذلك النور فرأوا النيزك او الخط المنير الذي تركهُ وراءهُ وبقي هذا الخط ظاهراً برهة تختلف بين دقيقتين وعشرين دقيقة

ويقال ان نورهُ فاق نور البدر الكامل . وكان اول ظهورهِ على شكل عارضة بين الدليلين (هما النور نجمين في صورة الدب الاكبر او بنات نعش الكبرى) ونجم القطب او الجدي (في صورة الدب الاصغر او بنات نعش الصغرى)

حجر الفيروز

بحث الدكتور بوج مدير التحف الاميركي سابقاً في الفيروز وتاريخهِ وتكونهِ وسائر ما يختص بهِ . فزار لهذا الغرض اكثر متاحف اميركا واوربا ومكاتبهما الكبرى ثم كتب تاريخاً ضافياً لهذا الحجر الكريم . وقد جاء في بحثهِ الجيولوجي عنهُ فصل طويل عن تكونهِ في جميع البقاع التي اشتهر وجودهُ فيها وخصوصاً بلاد ايران وشبه جزيرة سيناء والانحاء الجنوبية الغربية من اميركا كولايات نيومكسيكو واريزونا وكليفورنيا ونفادا وكولورادو حيث تخرج تجارة تضاهي الفيروز الفارسي في بهائها ورونقها . ويؤخذ مما كتبهُ عن تكون الفيروز انهُ يتكون بتحلب الماء الذي على سطح الارض وسط صخور الومينية فيها فوصفات الكلس ونحاس

وقال في تاريخهِ ان الانسان الاولين اطلقوا اسم الفيروز على بضعة حجارة خضراء وان هنود غربي اميركا خلطوا بين الفيروز واليشب او اليشم

الشفق القطبي

الشفق القطبي ظاهرة جوية كهربائية تظهر في جهات قطبي الارض الشمالي والجنوبي وقد يمتد الشفق الشمالي جنوباً الى سورية ومصر وبلاد العرب ولوكانت بعيدة عن القطب بعداً شاسعاً ففي ٥ نوفمبر الماضي بين الساعة ٦½ و ٧½ بعد غروب الشمس شوهد هذا الشفق في الافق الشمالي من البلاد الانكليزية على شكل قوس منيرة غير

منتظمة الشكل لونها بين اصفر ووردي وليموني . وكانت دائمة الارتجاف والارتعاش « كالمرآة في كف الاشل » فبعض شعاعها يتحرك شمالاً وجنوباً وبعضهُ شرقاً وغرباً . وبين الساعة ٦ ودق ٥٠ والساعة ٧ ظهرت اشعة باهرة خلال القوس وكان كل منها يتلألأ نحو نصف دقيقة ثم يتضاءل ويزول فيحل غيرهُ محلهُ . وكانت هذه الاشعة تتحرك حركة بطيئة ذات اليسار على شكل دائرة كما لو كانت امتان دولاب يتحرك

ترياق سم الافاعي

تقتل الافاعي السامة في الهند نصف مليون انسان في ٢٥ سنة آخرها سنة ١٩١١ اي عشرين الف نسمة في السنة . وقد هال هذا المقدار رجال المروءة فقاموا يبحثون منذ زمن طويل في وسيلة لدفع هذا الشر او تخفيفهِ . وسعى البعض اخيراً في عمل ترياق لسم صنف من اصناف الافاعي التي اشتهرت بخبثها فوق الى ذلك . وقد استحضر هذا الترياق في مستوصف كهاوي بمدينة بياي وطريقة استحضارهِ هي انهم يستخرجون السم من الفم الناشر ويحقنون بهِ الخيل مدة سنتين ثم يزيدون الحقنة على التوالي فتحصل الخيل على المناعة من ذلك السم ويصير مصلها ترياقاً لهُ . ويقال انهُ يشفي كل ملسوع يلقح بهِ بشرط ان يلقح بهِ حالاً بعد اللسعة

تشارلس ولستون

توفي اول من مدَّ سلك التلغراف في البحر تشارلس ولستون فانهُ نال امتيازاً من نبوليون الثالث بمد سلك التلغراف في البحر بين انكلترا وفرنسا وشرع في ذلك في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٥٠ . وكان ذلك السلك شريطاً واحداً دقيقاً قطرهُ عشر عقدة مغطى بالكوتابرخا فمدَّ في يوم واحد ونقل الكلام عليهِ بين انكلترا وفرنسا اول مرة ولكن لم يمضِ عليهِ ثلاثة ايام حتى تلف وكان ثقلهُ خمسة اطنان غير انهُ ثبت منهُ امكان التخاطب بالتلغراف الممدود في قاع البحر . وفي العام التالي صُنع سلك ثخين مغطى بالكوتابرخا والقنب والسلك المموه بالزنك وكان ثقلهُ ٢٠٠ طن فمدَّ في البحر واستعمل لنقل الاشارات التلغرافية بين انكلترا وفرنسا في ١٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ . وكان عمر المستر ولستون حين وفاتهِ ٩٥ سنة

ترميم مدينة مسينا

يذكر القراء الزلزلة الهائلة التي انتابت مدينة مسينا عاصمة جزيرة صقلية سنة ١٩٠٨ فتركتها اطلالاً دارسة وقتلت الالوف من اهلها . وقد جاء في تقرير قنصل اميركا فيها ان ترميمها قائم على قدم وساق وان المدينة الجديدة تبنى كلها من الخرسانة المسلحة اذ قد دل الاختبار انها تقوى على احتمال الهزات الشديدة

نفقات فرنسا

في الحرب الحاضرة

قال المسيو ريبو وزير مالية فرنسا من خطبة القاها في مجلس النواب ان نفقات فرنسا منذ بدء الحرب الحاضرة الى اواخر سنة ١٩١٥ تقدر بنحو ٢٨ مليار فرنك تقسم كما يلي:

اولاً ٢٠ ١٨٥ ٧٧٦ ٣٤٠ نفقات حربية بحتة

ثانياً ١ ٨٨٨ ٣٥٥ ٤٣٦ للديون العمومية

ثالثاً ٣ ١٩٠ ٥٢٦ ٣٨٠ نفقات مشتركة

رابعاً ١٨٦ ٨٠٠ ٠٠٠ لتموين غير المحاربين

خامساً ٢ ٣٦٣ ٥٠٩ ٢٨٥ مصاريف اخرى

وقدر المسيو ريبو نفقات فرنسا في الاشهر الثلاثة الاولى من سنة ١٩١٦ بمبلغ ٧ مليارات و٥٢٣ مليوناً تقسم كما يلي

اولاً ٥ ٣٥٦ ٧٧٠ ٦٦٢ نفقات حربية بحتة

ثانياً ٥٦٠ ٧٣١ ٦٦٤ للديون العمومية

ثالثاً ٨٤٧ ٧٤١ ٤٥٠ مصاريف مشتركة

رابعاً ٧٥٧ ٨٥٣ ٠٣٤ مصاريف مختلفة اخرى

فيكون مجموع ما انفقته وتنفقه فرنسا على هذه الحرب من اول اغسطس سنة ١٩١٤ الى اواخر مارس من هذه السنة ٣٦ مليارا و٢٣٨ مليون فرنك او نحو ١٥٠٠ مليون جنيه

الجراد في فلسطين

جاء في تقرير قنصل اميركا في القدس ان فلسطين نكبت في السنة الماضية بجراد لم ير الجيل الحاضر مثله في كثافة جيوشه. فقد غطت ارجاله الحقول وامتدت منها الى اسواق القدس فكان منظر الشارع الذي امام القنصلية الاميركية وجيوش الجراد السوداء والخضراء زاحفة فيه كنظر نهر جار. ويظهر انه التهم كل خضراء ويابسة من بقايا الزيتون وبساتين الاثمار والكروم ومعظم المواسم الصيفية. وفي اوائل السنة عينت الحكومة العثمانية لجنة لمكافحته برآسة الدكتور هرون هرونسن مدير حقول الاختبار الخاصة باليهود. واصدرت امراً يقضي على كل ذكر من السكان بين سن ١٥ و٦٠ ان يجمع ٢٠ كيلواً من الجراد او يدفع بدلاً قدره ليرة عثمانية. ولكن هذا التدبير وغيره من التدابير الشديدة لم تجد نفعاً

حكم اميركية

الحكيم لا يقطع المنشار من يدهِ اكثر من اصبع واحدة (وهو مثل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)

توخَّ الاغراض العالية فان السهم الذي يصيب خشبة على الارض يصيب نسراً في السماء

اذا اراد الشيطان ان يقبض بيدهِ على انسان اقنعهُ ان شرب قليل من المسكر لا يضرُّهُ

مَن عاش عيشة ترضي ابليس فهو على حافة الهلاك سواء كان مقامراً او عالماً من علماء الدين

لا شيءَ يبقي الانسان من الخراب مثل حبهِ لزوجتهِ وولدهِ

استعن بمن فوقك وأعِن مَن دونك

الخط بالطبع اذا حاولت رفعهُ زاد انحطاطاً

مَن لا اله لهُ لا يُعنى بشيءٍ

من لا غرض لهُ لا يصيب شيئاً

مَن لا يتعلم من اغلاطهِ تعجز المدارس عن تعليمهِ

المرأة التي تتزوج رجلاً فاسداً لتصلحهُ تجهل قوة الطباع

التحول من الخصب الى الجدب

في الترنسفال جهة تسمى وترسبرج كان المثل يضرب بها في شدَّة الخصب في تلك الانحاء وهي الآن قفر بلقع فقد جفَّت انهارها وينابيعها ويبست جناتها وكرومها وغادرتها انواع الحيوان التي كانت تمرح في غياضها ورياضها ولم يبقَ فيها الاَّ الحمائم اي الينابيع الحارة الماء ومنها يستقي السكان

هبات اميركية

اوصى المستر يستس هتكس بمليون ريال لمدرسة بابل الجامعة . ووهب يعقوب شف كلية برزد خمس مئة الف ريال . ووهب رجل اخفى اسمهُ جامعة كليفورنيا مئة الف ريال . واكبر الهبات الحديثة ما اوصى بهِ المستر اموس اتو لجامعة كولمبيا وهو ثلاثة ملايين ريال ولكن يقال ان ورثتهُ عارضوا في هذه الهبة

ورق المقتطف

كان من جنايات هذه الحرب على المقتطف ان احدى غواصاتها اغرقت السفينة التي كانت تحمل الورق المعد لطبع هذا الجزء فاضطررنا ان نؤخر طبعهُ اياماً لعلَّ الورق الذي طلبناهُ بدلاً منهُ يرد في ميعاد قريب ولما رأينا ورودهُ في الميعاد غير محتمل طبعنا اكثر هذا الجزء على ما وجدناهُ من الورق وهذا عذرنا عن تغيير ورقهِ وتأخر صدورهِ

فهرس الجزء الاول من المجلد الثامن والاربعين

صفحة

١ حقيقة الحال في المانيا
٧ الزكام وعلاجه
٩ كفاف الانسان من الارض · الفيلسوف تلستوي الروسي
١٤ الطب الشرعي · الدكتور محمد زكي شافعي طبيب مركز الفيوم
٢٠ اثر الحروب
٢٦ الحال بعد الحرب
٣٣ الحرب وويلاتها
٣٨ الغذاء في اللحم
٤٢ علم الانسان (مصوّرة)
٤٩ اكتشاف ارض جديدة (مصوّرة)
٥١ دمعة على فقيدة عزيزة · لنجيب افندي شاهين
٥٣ اليزيدية · لأحمد بك تيمور
٦٥ الدكتور باستيان
٦٦ الاستاذ رفائيل مدولا
٦٧ قوات الدول المتحاربة

---

٧٣ باب تدبير المنزل * الشيخوخة · الهواء الطلق · الاعتناء بالشعر ومنع انصلع
٧٩ باب الصناعة * آكلات الدخن (مصوّرة) · الطلون اللاسلكي · الكيماء وقت الحاجة · خمر ولا سكر · الاعضاء الصناعية (مصوّرة)
٩٣ باب الزراعة * الصادرات الزراعية · ري القطن في مديرية الفيوم · زراعة الثلقاس · القطن المصري واسعاره
٨٤ باب المراسلة والمناظرة * التقويم المغنطيسي والانباء بالغيب · حقيقة المثلل
٩١ باب التقريظ والانتقاد * تاريخ الآداب العربية · ارمد في القطر المصري
٩٥ باب المسائل * وفيه ١٢ مسئلة
٩٨ باب الاخبار الطبية * وفيه ١٥ نبذة